ويسألونك عن الحب

obeikan.com

الكتاب: ويسألونك عن الحب
المؤلف: هاني رمضان
تصميم الغلاف: مروة فتحي
تدقيق لغوي: أحمد أسامة
رقم الإيداع : 22985/2016
الترقيم الدولي: 978-977-778-088-9

20 عمارات منتصر– الهرم - الجيزة
ت: 35860372 02
Noon_publishing@yahoo.com
للنشر والتوزيع
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

ويسألونك عن الحب

رواية

هاني رمضان

للنشر والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى وطنى الحبيب (مصر) التى حييت بترابها وعشقت نيلها..

إلى جميع أفراد عائلتى التى لا أملك غيرها..

إلى كل قارئ نهم شغوف بالقراءة..

إلى جميع قراء الروايات..

إليك أنت قارئ هذه الرواية..

أقدم إليك عملى هذا لعلنا ندرك سويًا أسمى معانى الحب..

وأغلى منازل السمو والعطاء..

شاكرًا لك اقتناءها بين مكتبتك..

وأسأل الله أن أكون فى محل تلك الثقة التى وضعتها فِىّ..

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

لست أعلم من الجانى..
قلبى أم عقلى..
أهو الذى أودعنى بين جنبات النيران..
أم أننى اقتنيت العذاب رفيقًا لى..
أؤمن تمامًا بقضاء الله وقدره..
لكن..
رافقنى العذاب كثيرًا إلى أن فاض به منى..
فهل يتركنى ويرحل أم أدعه ينال منَى..

obeikan.com

obeikan.com

(1)

فى إحدى سيارات الأجرة..

جذبت نتباهى نغمة معهودة اعتادتها أذنى فى تلك الآونة الأخيرة .. إنها نغمة هاتفى

الهادئة,التى قَلَّمَا أسمعها فى بعض الأحيان من فرط هدوئها التى تضيع بين سحبات موتور سيارة الأجرة ونحيبها المتهالك الذى يثير الاشمئزاز فى نفسى.

انتزعته بشىء من الضيق خارج جيبى وأجبت:

- السلام عليكم .. مين معايا؟

- أيوا يا باسم .. أنت فين؟

- إياد .. أنت بتتكلم منين؟

- مش مهم دلوقتى.. المهم إنت قربت ولا لسه؟!

- قربت .. مفيش أخبار عن النتيجة؟

- لسه ما إتعلقتش.

- طيب .. أنا قدامى حوالى 10 دقايق واوصل.

- هستناك بس ما تتأخرش.

- حاضر.

- مع السلامة.

- سلام.

obeikan.com

أغلقت هاتفى فى توتر ملحوظ وأسكنته جيبى الأيمن فى هدوء ثم نادى مساعد السائق على الأجرة وبدأ يجمعها.

يسير بنا كالسلحفاة من أجل جمع أكبر عدد من الناس دون تقدير لقيمة الوقت الذى يمر علىَّ مرورًا كالقطار الذى يدهسنى فى كل دقيقة أجهل بها نتيجة الامتحان.. عليك أن تتخيل قفزات قلبى وإفرازات جسدى من العرق الذى يتصبب منى رغم أنه لا يغادر جسد أحد غيرى بالحافلة.. مشاعر القلق والتوتر التى تنتابنى من المجهول.

وبعد دقائق قليلة وصلت إلى الكلية (كلية الفنون التطبيقية) وبحثت عن حائط النتائج فوجدته .. ثم لاحظت إياد منتظرًا فى ترقب وسط الطلبة الذين ينتظرون مصيرهم المجهول، وبعد عدة دقائق خرج علينا اثنان من العمال يحملون لوحات الكشوف وبدأوا فى تعليقها واحدة تلو الأخرى .. فهناك من يجهر بالبكاء ومنهم من يصدم صدمة مكتومة وغيرهم من المبشرين بالنجاح عندها تعلو أصواتهم بالفرحة بعدها فُسح لنا الطريق أمام أعيننا .. فاقتطع إياد نظرى وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ:

- نجحنا يا باسم .. نجحنا.

فانتابتنى الفرحة المؤقتة إلى أن وصلت بعينى إلى اسمى وقرأت بترقب:

باسم محمود على – الفرقة الرابعة – ناجح – التقدير العام ممتاز.

عندها تملكتنى المفاجأة .. لقد هرمت من أجل هذه اللحظة بعدما عانيت 5 سنوات دراسية منهم سنة إعداد قبل اختيار القسم وبذلك التقدير الذى طالما حلمت به من قبل.. والذى انتظرته عائلتى نظير مساعدتى على الدراسة والنجاح فاحتضنت إياد بفرحة غامرة بعدما حصل على تقدير عام جيد جدًا لكنه لم يبالى بالفرق فهو يحسبها بالنجاح دومًا.

بعدها اتجهنا لشؤون الطلبة لمعرفة التفاصيل التى تساعدنا على إنهاء إجراءات الشهادات والأوراق من الكلية ثم ذهبنا إلى كافيتيريا الكلية لاحتساء مشروبنا اليومى (الكابتشينو) وبدأنا فى الحديث:

- مبروك يا عم إياد .. فرحت طبعًا صح؟

- طبعًا وانت أكترمنى .. مش كده؟

- أكيد .. إنت عارف إيه اللى حصلى عشان أخد الشهادة دى.

- عارف .. ده إنت طلعت عينى وكأنك خدت الدكتوراة.

- معلش بقى .. أديك هترتاح منى شوية.

- وأنت هتسيبنا يا عم بعد ما أخدت الشهادة والتقدير.. طبعًا ما اللى عِلى عِلى يا عم.

- عمرى ما هعلى عليك يا صاحبى .. ده انت الخيط والبكرة.

- هههه .. فوقت دلوقتى بعد ما عيشتنا فى رعب وخليتنى أستنى عند لوحة النتايج من الساعة 7 الصبح.

- ما انا جيت بدرى كمان وأهى جت بفايدة ونجحنا ما تقعدش تقطِّمنا بقى.

- طيب يا عم إشرب...

- إشرب الكابتشينو.

ارتشفت الكابتشينو برشفات متتابعة بنكهات السعادة .. فالطعم اليوم مختلف عن ذى قبل مما جعلنى أتذوق طعمًا جديدًا للحياة.

- بالحق .. إنت كلمتنى من تليفون مين النهاردة؟!

- تليفون نور زميلتنا .. أصل رصيدى خلص فكلمتك منه.

وفجأة وبدون مقدمات:

- بتجيبوا فى سيرتى ليه؟!

- نور .. ده باسم كان بيسأل أنا كلمته منين النهارده.

- طيب يا بنتى قولى إحم ولا حاجة حرام عليكى .. عملتى إيه فى النتيجة طبعًا أنا عارف مقدمًا بس حابب أتطمن.

- لأ .. إتطمن أنا تمام وانتوا يا باسم؟

- تمام والحمد لله.

- هو صاحبك ده مش هيشحن تليفونه رصيد بقى ويخلصنا.

- شوفت يا باسم أديك جيبتلى الكلام أهو عاجبك كده.

- خلاص يا عم خد منى عشرة جنيه وروح اشحن على حسابى هدية, حلاوة النجاح.

- طيب وأنا مش هتدينى حاجة؟

- حتى إنتى يا نور .. طلباتك؟

- طلب بسيط .. تصالح حنان .. بالمناسبة هى نجحت كمان بس حَسَّاها مش فرحانة بالنتيجة عشان حاجة معينة والحاجة دى هى إنت يا باسم.

- هى نسيت هى عملت إيه قبل كده .. صعب الطلب ده يا نور دا أنا نهتها أكتر من مره عشان تتفادى اللى بتعمله ومفيش فايدة.

- معلش يا باسم حاول عشان خاطرى .. هى بتحبك بس الخلاف ممكن يدوب ما بينكم.

وبعد إلحاح من نور قررت أن أذيب أى خلاف بيننا حتى تصفو النفوس خاصة فى ذلك الوقت الذى عمتنا السعادة فيه.

مططت شفتىَ بامتعاض لكن ما شفع لها عندى حبى لها .. لم أدرك أننى أحبها بمثل هذه الدرجة تسبقنى قدماى إليها وعقلى يمتعض عنها .. ما ذلك الحب العجيب المتناقض فذهبت إليها فوجدتها جالسة ومستندة بظهرها إلى إحدى الأسوار الحديدية التى تحيط بالحديقة الخاصة بالكلية فجلست بجانبها تبعد بيننا مسافة ذراع وقلت:

- مبروك يا حنان النجاح .. أنا لسه عارف من نور دلوقتى.

فنظرت لى نظرة عتاب ثم قالت:

- وما حاولتش تعرف لوحدك ليه .. هو أنا ما أهمكش.

هممت بالوقوف ونويت الرحيل لكنها جذبتنى من يدى فى ندم وقالت:

- أنا مش عارفه إنت بتعمل معايا كدا ليه.

- إنتى عارفة .. أنا ما بحبش أشوفك واقفة مع حد تانى غيرى .. فما بالك وانتى عماله تهزرى معاه.

- دا زميلى يعنى عادى.

- لأ مش عادى .. طالما قررنا الإرتباط ياريت تِبقِى قَدُّه.

- ويا ترى إيه هو الإرتباط من وجهة نظرك.

- من ناحيتى أنا أحب اللى تحتوينى وتراعينى وتراعى مشاعرى مش تجرحنى وتضايقنى بتصرفاتها.

- هو ده رأيك؟

- على العموم أنا حبيت أصالحِك وأباركلك عشان النفوس تبقى راضية وحبيت أسلم عليكى عشان مش عارف هنشوف بعض تانى ولا لأ بس على العموم أكيد هحاول أشوفك تانى.

فترقرقت دمعة فى عينيها البنيتين وسقطت دون إرادة منها عندما لامست يدى فاخترقت قلبى بعنف أدمعت عينى لكن تمالكت نفسى عندها تجمعنا جميعًا واستقلينا إحدى حافلات الأجرة وجلست بجانب حنان وأمسكت يدها بحب وأنا لا أدرى.

هل ستسنح لى الفرصة مرة أخرى كى ألمس يدها الرقيقة الناعمة التى تملك دفء العالم بينها لا أدرى .. فنظرت إلى المقاعد الممتلئة والخاوية فى الحافلة فلم أجد أحدًا منتبهًا لنا وعندها حانت اللحظة التى انتظرتها منذ أن بدأت علاقتنا اللحظة التى أتضور عشقًا من أجلها وأتوق إليها ولم أظفر بها من قبل على الإطلاق.

فنظرت مرة أخرى .. فلم أجد إلا الصمت وعدم الانتباه يخيم على الحافلة ومن فيها عندها أدركت أنها جاءت وحنان تنظر إلىَّ بحنان ورغبة بالغة فى الاحتواء. عندها ضممت يدها بالقرب من قلبى فشعرت بنبضاته واقترب وجهها من وجهى

حتى شعرت بأنفاسها تختلج قسمات وجهى.

وفجأة وبدون أى مقدمات.. طبعت على يدها الدافئة قبلة حانية تحمل أسمى معانى الحب والحنان ونظرت فى عينيها نظرة تَنُمُّ عن الرغبة المكبوتة التى تقبع داخلى عندها أدركت حبى لها وأدركت حبها لى لكن بعد فوات الأوان.

فى مدينة الطلبة..

عدت إلى غرفتى فى المدينة منتشيًا بالنتيجة واليوم الرائع الذى قضيته مع حنان لكن انتابنى شعور مغاير يُحرِقُ تلابيب قلبى من جدوى عدم رؤياها مرة أخرى بعدما شارفت علاقتى بالكلية على الانتهاء.

عَلَّقتُ ذِهنِى بها أفكر فيما نشأ بيننا طيلة سنوات الدراسة.. آمالنا وأحلامنا حبنا الذى نشأ بيننا بالفطرة .. مَرَّ علىَ كشريطٍ طويلٍ يُقَلِّبُ ذكرياتِ الماضى والتى حتمًا ستصبح ماضٍ بعيدٍ .. إلى أبعد مدى.

تعلقت عينى بأوراق الرسم خاصتى .. أريد أن أنسى ذكرياتى حتى وإن كانت جميلة .. طالما لا أحياها الآن .. فسأظل أتذكرها وأتأملها طالما حييت. فالتقطت أوراقى وأشعلت الموسيقى فى هاتفى المحمول وبدأت فى الرسم عشقت الرسم منذ أن كنت فى المرحلة الإعدادية .. عندها اصطحبنى والدى إلى العديد من الورش الخاصة بالفنون التشكيلية القابعة فى مدينة السحر والجمال مدينة الإسكندرية .. حيث البحر وعبق التاريخ والتأمل الفكرى والذى يخلق فى حياة أى فنان إبداعًا حقيقيًا لا محالة.

ومن يومها أصبح الرسم جزءًا لا يتجزأ من حياتى .. فهو لم يكن موهبة فقط بالنسبة لى لكنه أيضًا عشق وراحة نفسية ينال من ما يعكر صفوى دائمًا والآن وبعد دراسته اكتمل عشقه فى قلبى وأصبحت حياتى مُعَلَّقَةٌ به وصار هو ملاذى الأخير للهروب أحيانًا من الواقع الأليم.

وبعد عدة ساعات جاءنى (عم جمعة) حارس المدينة والذى ظل قرابة الثلاثون

عامًا يعمل بالمدينة .. لم تكن علاقتى به قَطّ علاقة حارس بطالب على الإطلاق بل كانت علاقة بسيطة كأى صديقين أوربما كوالدٍ لى.

رجل أكل عليه الدهروشرب حتى نال من قسمات وجهه وأطبقها فى عنف يرتدى الجلباب دائمًا ولا شىء غيره .. يفتخر به كوسام ناله فى حفل تكريم يعتز بأصله الصعيدى الشامخ الذى نشأ وترعرع فيه .. يقدس العادات والتقاليد التى تربى عليها وبصرامة لا يعرف المجاملات ولم يتخلى عن لكنته الصعيدية.

- صباح الخيريا باسم.

- صباح النور يا عم جمعة .. إيه أخبارك؟

- الحمد لله .. أنا شايفك النهارده فرحان .. خير إن شاء الله.

- أصل أنا نجحت يا عم جمعة.

- ياااه ... ألف مبروك .. والله فرحتلك جوى.

- ربنا يكرمك يا عم جمعة وتشوف ولادك دايمًا ناجحين يارب.

- شكرًا يا ابنى .. وناوى تعمل إيه بعد كده.

- ناوى أريحكم منى بقى.

- يووه .. ما تجولش كده يا باسم .. ده إنت منورنا والله.

- يا راجل ما انا خلصت دراسة هقعد إزاى فى المدينه تانى .. مكانى فيه حد تانى أكيد هييجى وياخده وده حقه .. عشان هيدرس فى الجامعة.

- طبعًا بس هتوحشنا بجد والله يا باسم بس إوعى تنسأنا بقى وتقول عِدُّولى.

فابتسمت ابتسامة عريضة على دعابة عم جمعة وأكملت:

- لأ طبعًا .. وأنا أقدر أنسى أصحابى وأهلى اللى قضيت معاهم خمس سنين من عمرى .. دا حتى يبقى قلة أصل وأنا من بيت محترم .. وقليل الأصل أاااه .. إنت عارف أصلى كويس يا عم جمعة.

فقهقه عم جمعة من دعابتى واستطرد:

- بيت كريم وأصل عظيم يا باسم .. ده إنت عشرة نُصّ عُمر.

- طيب والنص التانى؟!

- سيبته فى البلد وجيت هنا.

فابتسمت كثيرًا من دعابات عم جمعة التى تهون علىَّ معيشتى دائمًا .. فهو يعشق الفكاهة والدعابات مهما كثَّرت لأنها تهون عليه عمله وحياته على وجه الخصوص فى غربته عن بلدته.

- يعنى ناوى تعمل إيه؟

- والله ناوى أخلص ورقى واروح على اسكندرية عشان أزور عيلتى وابلغهم بالنتيجة وبعد كده ربنا يسهلها من عنده بقى.

- ربنا يوفجك يا ابنى ويسرلك الحال.

- تسلم يا عم جمعة .. ربنا يكرمك.

- أسيبك بقى عشان بينادوا عليا تحت .. مش عايز حاجة؟

- متشكر.

- أشوفك على خير.

- مع السلامة.

فخرج عم جمعة من الغرفة .. واستطردت الرسم والحالة الانعزالية التى كنت عليها قبل دخوله .. لكن حالتى الآن أفضل قليلًا مما كانت عليه بفضل دعابات عم جمعة.

وفى صباح اليوم التالى..

ذهبت إلى الكلية حيث قابلت إياد هناك لكننى لم أقابل حنان فهى لم تحضر قطعًا فكلما سألت عنها أحد لا يفيدنى بشىء .. حتى هاتفها مغلق فذهبنا سويًا إلى شؤون الطلبه وبدأنا فى عمل الإجراءات واستخراج الشهادات المؤقتة التى ستفيدنا قطعًا فى حياتنا العملية وبعد الانتهاء من الإجراءات الرتيبة.

ذهبنا إلى الكافيتريا لتناول الإفطار .. حيث أننا ذهبنا فى ساعة متقدمة من الصباح ولم يلحق أحد منَا تناول الإفطار.

- فيه حاجة حصلت بينك وبين حنان يا باسم زعلتها وخليتها تقفل التليفون.

- لأ مفيش أبدًا دا أنا حتى وصلتها امبارح وكنَا كويسين أوى وصالحتها زى ما نور طلبت.

- طيب إيه اللى حصل؟

- مش عارف والله .. أنا زيى زيك.

- ما حاولِتش تكلمك إمبارح بالليل حتى؟!

- لأ .. برضه.

- الحكايه دى غريبة فعلًا.

- مش عارف بس ممكن يكون ظرف طارئ وهيعدى ولا حاجة .. طالما ما عرفناش حاجة لغاية دلوقتى .. إن شاء الله خير.

- إن شاء الله.

- ناوى تعمل إيه بقى بعد ما أخدنا الشهادات وخلصنا الورق.

- أنا عن نفسى أول حاجة هعملها هسافر إسكندرية عشان أطمن أهلى وبعد كده ربنا يكرم وادوَّر على شغل .. وإنت؟

- أنا هدور على شغل هنا وربنا يكرمنى ومش هغلب حتى لو ضاقت بيا الدنيا هشتغل فى محل تصوير.. إنت عارف إنى بحب التصوير ويبقى شغل مؤقت على بال ما ألاقى شغل مناسب.

قاطعتنا نور مره أخرى:

- إنتوا قاعدين هنا والكشوف نزلت.

فتعجب إياد قائلًا:

- كشوف إيه.

- رحلة مطلعاها الكلية عشان الأوائل لأكبر متحف فنى فى القاهرة.

* * *

(2)

فانتفض جسدى من مقعدى وأسرعت وراء نور التى دلتنى على طريق الكشف وما أن وقعت عينى عليه حتى انتابتنى الدهشة والتعجب فإسمى فى كشف المتفوقين

فشعرت بثمار النجاح تتساقط من على شجرة الإرادة ثمرة تلو الأخرى وتغرقنى فى لذتها التى حلمت أن أتذوقها وأشعر بحلاوتها.

اتجهت مرة أخرى إلى شؤون الطلبة لأستعلم عن تفاصيل الرحلة وعلمت أن أساتذة كبار وفنانين عظام هم القائمين عليها وسنتعلم منهم كثيرًا فسعدت بتلك الأخبار.

حينها أعددت حقيبتى وسافرت .. إنه عالم آخر من عوالم الفن يجتاحنى وتعدد الأذواق واللوحات قد أبهرنى.

وبدأت فى تدوين كل ما أحصل عليه من تلك الرحلة الممتعة والغنية بالمعلومات الذاخرة التى حتمًا ستفيدنى فى حياتى العملية .. أتنقل بين اللوحات وأتخيل إن كنت سأرسمهم كيف ستكون يدى عندما أخط خطوطها .. الألوان كيف أستخدمها والدرجات, الخامات, الأدوات.

كل تلك الأسئلة تراودنى كأنى لم أرسم من قبل أو كأننى لم أدرس طيلة الخمس سنوات أصول وقواعد الفن التشكيلى وأمارسه وأتمرس فيه.

كانت تلك بالنسبة لى هى الأمل الجديد الذى يشع نضارة المستقبل وتحمل إلىَّ العديد من المعلومات المفيدة والجديدة.

وفى طريق عودتى مررت على إحدى مكاتب السفريات لحجز تذكرة سفر للإسكندرية وحجزت بالفعل وبعد انتهائى عدت إلى غرفتى بالمدينة كان يومًا مرهقًا بحق لكنه كان مفيدًا لى تمامًا .. لكن سرعان ما تناسيت الإرهاق أمام متعة التعلم واكتناز المعلومات.

بعدها كنت فى تلك اللحظة على اتفاق مسبق مع المشرف من قبل على أن أسلم كل متعلقات الغرفة إليه .. فأخذت ألملم حاجياتى فى الحقائب .. ينتابنى صراع داخلى مرير بين عودتى إلى الإسكندرية والبقاء بها والعمل بالقرب من عائلتى وبين بقائى فى القاهرة والبقاء بجانب حنان والتى جمع بيننا الحب طيلة الأعوام الماضية.

ترى هل أعود من أجلها مرة أخرى لأبث لها حنين الماضى .. أم سينتزعنى المستقبل من بين براثن الحب ويلقينى بعيدًا عنها.

وفى الصباح...

انتزعت حقيبتى بهدوء مودعًا بعينى كل جنبات غرفتى التى لازمتنى لسنواتٍ عديدة أتحسس كل ركن من أركان الغرفة والمدينة بأكملها تكاد لا تحملنى قدمى خارجها، لقد تعودت ضوابطها وقوانينها وموظفوها وحراسها وجوها .. كل شيء.

مررت فى طريقى على المشرف وَسَلَّمتُهُ مفتاح ومتعلقات الغرفة ثم صافحته وصافحت عم جمعة ودموعه ودموعى تخالج أنفسنا .. إلى أن أنهيت ذلك الموقفالمرير على نفسى وسلكت طريقى إلى موقف الحافلات كى أسافر إلى بيتى فى الإسكندرية حيث عائلتى التى لم أخبرها بموعد قدومى.

أردت أن أطلق نجاحى فجأة فى وجوههم, أدرك تمامًا مدى سعادتهم بذلك ورؤيتى أيضًا ستجعل من المفاجأة شيئًا مميزًا حقًا.

وفى الموعد المحدد.. صعدت الحافلة وجلست فى المقعد المجاور للنافذة الزجاجية طبقًا لإشارة رقم المقعد المدون على التذكرة .. إنه وقت التأمل وقت التفكير حينها علقت الهاند فرى بهاتفى المحمول وقمت بتشغيل بعض الأغانى الرومانسية والتى لا

تخلو إطلاقًا من هاتفى وقليلًا من الأغانى الحزينة التى تعتصر القلوب عصرًا نظرت عبر النافذة أتأمل الشوارع والطرق والمارة حينما انطلقت الحافلة وما أن ظهرت الرمال الذهبية على جانب الطريق حتى شعرت ببعد المسافة بينى وبين حنان التى تركتها خلفى بعد قصة حب استمرت 4 سنوات حين التقيتها لم تكن المسافات حائلًا بينى وبين التفكير فيها .. فكلما سنحت لى الفرصة لكى أتذكر موقفًا بيننا أو مشاعرى نحوها أنساق وراء أفكارى المحلاة بعبير حبها الذى اغتال قلبى.

صراع مرير يعتمل فى نفسى بين ذهابى إلى عائلتى التى أشتاق إليها وبين حنان التى امتلكت تلابيب قلبى وعقلى وأسرتنى بين جدران قلبها النابض.

أوقفت الأغانى التى كنت أسمعها بتفاعل شديد وأطلقت اتصالًا بحنان التى لم تُجِب على هاتفها بالأمس وبعد عناء الشبكة المتقطعة أثناء السفر التقط الهاتف الشبكة أخيرًا وبدأ يقرع جرسها .. لكنها لم تُجِب وبعد محاولات عدة أجابت:

- إزيك يا حنان عاملة إيه؟

- الحمد لله وإنت إيه أخبارك؟

- بخير.. ماردتيش عليَا ليه إمبارح؟ أنا كنت مستنى تردى.

- ليه خير فيه حاجة؟!

- خير.. بس إحنا روحنا الكلية إمبارح عشان نسحب أوراقنا والشهادات وعشان كمان أقولك إنى مسافر.

- أنا بس كان عندى ظروف عشان أمى كانت تعبانة و.... بتقول إيه؟!

- أنا سافرت النهاردة وبكلمك من العربية دلوقتى.

- كده .. وما تقوليش يا باسم؟!

- ما أنا قولت أقولك إمبارح بس إنتى ما ردتيش عليا على العموم أنا كده كده كنت لازم أسافر عشان أعرف أهلى بالنتيجة وعشان أنا سيبت المدينة الجامعية كمان.

فتحدثت بضيق ملحوظ:

- وناوى تعمل إيه بعد كده؟

- والله مش عارف بس أكيد لما هزورهم هَوَضَّب أمورى وبعدين هقولك.

- لسه هتعرف وتقول يا باسم .. إنت تعبتنى بجد.

- معلش يا حبيبتى إنتى عارفه ظروفى عاملة إزاى.

فهدأت الكلمة من حدة نبرتها ولطفت قلبها ومشاعرها تجاهه ثم استطردت:

- تمام .. بس ياريت ما تنسانيش ولا إنت مسافر عشان تبعد عنى؟

- أبعد عنك .. ده أنا أصلًا ما كنتش عايز أسافر عشان أبقى جنبك.

- بجد يا باسم؟

- بجد والله يا حبيبتى .. وإن شاء الله علاقتى مش هتتقطع طبعًا بالقاهرة.

- بس أما تنزلها أو يجد جديد فى الأمور إبقى قولى.

- أكيد طبعًا هتعرفى أول واحدة حتى قبل منى.

فشعرت بابتسامة خالطت صوتها وهى تقول:

- تسلم يا بيسو.

فابتسمت أيضًا لما قالته ثم أكملت:

- لا إله إلا الله.

فأكملت أنا الآخر النصف الآخر لكل المحبين والعاشقين:

- محمد رسول الله.

حتمًا سعدت بتلك المكالمة التى أشعلت نيران الحب التى كادت أن تنطفئ من قبل، لكن شاء لها القدر أن تشتعل مرة أخرى فى قلبى كى تهون على نفسى صراعًا مريرًا أصابه وقَصَّر المسافات التى كنت أراها بعيدة المدى.

وبعد ساعة من عناء وشقاء السفر.. وصلت إلى موقف الحافلات فخرجت إلى موقف الميكروباصات حاملًا حقيبتى الثقيلة بضجر ومنها استقليت سيارة أجرة إلى

شارع 45 ذلك الشارع الذى نشأت فيه فصعدت إلى شقتنا وطرقت الباب وما أن انفتح الباب حتى وجدت أختى ليلى أمامى .. بالطبع لم تكن تصدق وجودى أمامها فارتمت بين ذراعي فى فرحة عارمة مرددة:

- باسم رجع!!

قالتها وهى تدخلنى وحملت حقيبتى إلى الداخل فوجدت أبى وأمى .. انتفض أبى من مجلسه حينما رآنى واحتضنته بقوة وشوق وقَبَّلتُ يده وانحنيت بعدها وقَبَّلتُ يد أمى ورأسها أيضًا إنها حقًا لحظة تمنيتها كثيرًا .. إنها من أصعب لحظات حياتى على الإطلاق .. حينما رأيت الدموع فى عيونهم وعيونى أيضًا التى فاضت وكأنها لم تَفِض منذ 4 سنوات.

فقطعت ذلك المشهد المرير ليلى فى محاولة لتخفيف مرارته:

- تلاقيك تعبان وما أكلتش وأنت جاى .. أنا بعمل الأكل دلوقتى وهجيبلك تاكل.

فقلت بصوت مبحوح:

- لأ شكرًا يا ليلى أنا كلت ساندوتشين فى السكة .. بس أنا تعبان شوية وهخش أنام الأول.

واستطردت قائلًا:

- أنا عندى ليكم مفاجأة .. أنا نجحت وجيبت تقدير امتياز.

فتهللت أساريرهم جميعًا وأطلقت ليلى زغرودة عالية فرحة بنجاحى وأطلق أبى عبارات التهنئة هو وأمى بذلك النجاح والأحضان مرة أخرى ثم قال أبى:

- وما قلتلناش ليه يا ابنى؟!

- والله يا بابا حبيت أعملهالكم مفاجأة.

فقالت ليلى:

- مفاجأة جميلة .. بس كنت تقولنا حتى عشان نحاول نجهز نفسنا ونحاول نعمل حفلة ولا حاجة.

- مفيش داعى يا ليلى .. ده نجاح .. هو جواز؟!

- وماله لما تتجوز إن شاء الله نبقى نعمل حفلة تانية .. بس خلينا دلوقتى فى الحفلة الأولانية.

- معلش يا ليلى خلينا كده أحسن .. وممكن نبقى نحتفل حتى بس على الضيق .. نجيب تورته وكده بعد الغدا ولا جاتوه ونحتفل إحنا بس.

فقال أبى:

- ما يجراش حاجة يا ابنى المهم إنك نجحت وحققت جزء من حلمك وعقبال ما تحقق كل اللى بتتمناه.

- كل ده يا بابا من خيرك إنت وماما واللى وصلتله ده بفضل دعواتكم ودعمكم ليا.

فقالت أمى والبسمة لم تفارق وجهها:

- ربنا يخليك يا ابنى ويكرمك دايمًا وتنول كل اللى بتحلم بيه ونفرح بجوازك بقى بعد الشغل.

- تسلمى يا ماما .. ربنا يكترمن دعواتك .. هى دى أكترحاجة محتاجها دلوقتى بالذات.

فقال أبى:

- طيب يا ابنى قوم نام وريحلك شوية من السفرعشان تقوم فايق.

- حاضر.

فقبلتهم مرة أخرى ودلفت إلى غرفتى كل شىء فى مكانه لوحاتى القديمة معلقة على الحائط كما هى وأدواتى فى مكانها التى تركتها فيها آخر مرة كل شىء مرتب وكأنى تركت الغرفة بالأمس فشعرت بدفء جميل حينما دلفتها لم يخالجنى ذلك الشعور من قبل بالطبع .. فهنا نشأت وتعلمت ورسمت.

رتبت حاجياتى بالغرفة ووضعت ملابسى فى الدولاب وأعددت كل شىء ثم بدلت

ملابسى وارتميت على الفراش ثم راح عقلى فى سُباتٍ عميق. وفى المساء قمت من نومى وذهبت إلى الخلاء كى أهندم نفسى وأهذب لحيتى وخرجت فوجدت أبى قابعًا على إحدى الأرائك فجلست بجانبه، فقال لى:

- قوم كُل بقى .. إحنا سبقناك عشان ميعاد الدوا بتاعى والأنسولين بتاع أمك.

- ولا يهمك يا بابا.

وفى ذلك الوقت أعدت ليلى الطعام لى فجلست على السفرة وبدأت فى تناول الطعام .. بالطبع أول طعام يؤكل من البيت لقد اعتادت معدتى على أنواع الطعام الرديء الذى يباع فى المحال والذى أصبح مقررًا علىَّ بين مواد الدراسه غصبًا واضطرارًا.

وبعدما انتهيت من تناول طعامى سمعت طرق على الباب ففتحت ليلى فإذا بعمى يدخل علينا فقبَّلَهَا ثم ألقى على الجميع السلام واحتضننى بشدة وبادلته ذلك فلم أره منذ قرابة العام منذ أن كنت فى آخر زيارة لى هنا وقام بتهنئتى .. وبعد قليل بدأنا الاحتفال وأخذ كلًا منَا قطعة من التورتة وكوبًا من عصير المانجو.

***

(3)

وبعد الاحتفال والحديث الحميم الذى حُرمت منه طيلة السنوات السابقة قدم لى كلًا منهم هديته كانت هدايا أقل ما يقال عنها (تحفة) كانت كلها تخص الرسم من أقلام وباليتات وألوان وأوراق رسم غالية والأغلى منهم كانت هدية أبى وأمى فأبى أعطانى مصحفًا مرصعًا جميلًا وأمى أعطتنى سجادة صلاة.

وبعد انتهاء الحفل.. قبعنا مع عمى نتحدث ونتسامر سويًا .. فما فاتنا حان وقت تعويضه الآن.

- مبروك يا باسم .. ربنا يوفقك فى اللى جاى شد حيلك بقى.

- إن شاء الله يا عمى .. لكن إنت جيت إسكندرية إمتى؟!

- والله كان عندى شغل هنا فى إسكندرية خلال اليومين دول والحمد لله خلصته وبابا بس اللى كان عارف قولت اعملها مفاجأة لكن انتوا اللى فاجئتونى.

- ومرات عمى والولاد عاملين إيه؟

فاستطرد قائلًا:

- هما كانوا عايزين ييجوا معايا لكن الولاد عندهم واجبات كتير وبعد كده هتروح مراتى لامها عشان تزورها أصلها تعبانة شوية وكمان أنا جاى عشان شغل وراجع القاهرة بعد يومين.

فقال أبى:

- ألف سلامة عليها .. إبقى طمنَا عليها والله أنا لو قادرولا الحاجة قادرة كنَا روحنا لحد عندها عشان نتطمن عليها ونعمل الواجب.

فأكمل عمى:

- كإنك زرتها يا حاج. .. وبعدين الموضوع مش كبيروالحمد لله.

- ربنا معاها.

بالطبع لم ينادى عمى أبى باسمه من قبل فهو أخوه الأكبرويكبره بحوالى 10 سنوات منذ صغره كان يناديه (أبيه محمود) أما الآن وبعد حجة أبى الأخيرة أبدل لقبه بـ (الحاج) حفاظًا على وقاره .. فعائلتنا محافظة إلى أبعد مدى.

فاستطرد عمى باهتمام:

- وناوى تعمل إيه يا باسم بعد ما أخدت الشهادة .. خصوصًا إن الرسام ما تآخذنيش يعنى صعب جدًا يشتغل فى مجاله.

بالطبع لم أشعر بالضيق تجاه كلمات عمى التى مرت على مريرة مخجلة فهو من بيت فنى نشأ وتربى هو وأبى فى بيت ينضح بجميع أنواع الفنون من أدب ورسم وغناء.فالعائلة دومًا تخرج الفنانين .. لكن عمى كان عملىّ جدًا حتى أنه ترك الفن وعمل بإحدى الشركات الهندسية حتى يحصل على المال .. لا ألومه على كل حال لكن قلما يزعجنى تدخله فى شؤونى دون مراعاة مشاعرى المرهفة.

- هَكَمِّل تدريبات فى ورش وازور متاحف فنية كتيرة عشان أكتسب خبرة الأول وبعدها أفكرهعمل إيه .. خصوصًا إن إسكندرية أهلها مهتمين بالفن.

فهزرأسه محاولًا إقناع نفسه ثم أكمل:

- ربنا معاك يا باسم .. ما تزعلش منى يا ابنى أنا بس مهتم أشوفك فى أحسن حال إنت إبنى التانى.

- أكيد ولا يهمك يا عمى.

فلاحظ والدى الضيق الذى ارتسم على وجهى ثم سرعان ما اختفى فقال أبى:

- باسم مَّيال إنه يبقى فى القاهرة .. عشان يستفيد أكتر من الورش الكتيرة ويتابع دراساته هناك.

قال عمى وهو يحك رأسه قليلًا:

- ولقيت مكان يا باسم تقعد فيه ولا لسه؟

- والله أنا لسه ما نويتش أصلًا إنى أسافر القاهرة .. بس كنت عايز أكمل دراساتى هناك وابقى أدور على أوضة حتى أعيش فيها.

- على العموم لو فكرت .. إحنا عندنا فى العمارة اللى أنا قاعد فيها فى القاهرة غرفة وحمام للإيجار فى الدور الأرضى محندقين يعنى ومش غاليين .. يبقى قوللى بس وأنا أأجرهالك.

- شكرًا يا عمى ربنا يكرمك.

- أقوم أنا بقى عشان ألحق أروَّح .. ومبروك مرة تانية يا باسم.

- الله يبارك فيك يا عمى وإبقى سلملنا على المدام والولاد.

- يوصل يا حبيبى إن شاء الله.

فتبادلنا السلام سويًا ثم انطلق عمى إلى بيته .. فشكرت عائلتى وهنأونى مرة أخرى ثم دلفت إلى غرفتى ملاذى وعشقى لكنها الآن عشقى .. أتوق إلى استنشاق عبيرها وعطر الألوان الذى يثير قلبى ومشاعرى.. خطوط لوحاتى المعلقة على الحائط كوسام يقتطع من جسدى قطعة متوجة للحلم وللتاريخ.

وانطلقت أشدو بترانيم الفن بين جنبات غرفتى .. أمتع لحظاتى بلمساتى الفنية التى تودعنى فى عوالم الخيال والسمو الروحى الذى يستهوينى دومًا حينما تنتابنى الفرحة تكن هى نشوتى التى أرغبها وفى وقت الحزن تكن ملاذى الذى أحتمى به من تقلبات الحياة وعنفوان البلاهة والحمق.

ظللت قرابة الساعة أعتصر قلمى كى أخط ولو خطًا واحدًا فلست مؤهلًا لذلك

الآن بعدها غلبنى النوم وثقلت أجفانى من فرط الإرهاق حتى نال من عزيمتى الفنيه وأودعنى بين طبيعتى البشرية والتى لن أتخلى عنها إلا حينما تنتهى فى يومٍ من الأيام.

وفى الصباح..

تناولت طعام الإفطار مع عائلتى ثم هبت فى عقلى ذكرياتى الماضية والتى تحمل لى أجمل اللحظات التى مررت بها فاستأذنت أبى وأمى ثم خرجت إلى شاطئ البحر حيث منبع الذكريات ونسمات العطاء المحلاة بعبير الذكريات تطلعت إليه برغبات متناقضة بين حنين ممزوج بماضٍ أتمنى عودته وبين حاضر مجهول يحمل بين طياته المجهول البعيد .. لكن رؤيته تبعث الصفاء فى نفسى بغض النظر عن ما أفكر.

نزلت على الرمال الصفراء الذهبية وخلعت حذائى وأودعته تحت ذراعى ما أجمل أن أتذكر حينما كنت صغيرًا تداعب أنامل قدمى الرمال الناعمة تتخللها قطرات المياه الممزوجة بها والتى تحمل إلى دفء المشاعر.

فأخذت أتطلع إلى آخر خطوط البحر حتى ألمسها .. حينها شعرت بروحى تسعى فى ملكوتٍ آخر حينما تذكرت كثيرًا من ما مضى .. والناس حولى تنتشى بعبير البحار وسخونة الرمال وحلاوة اجتماعهم على شىء واحد يجمعهم ويحمل رغباتهم فيه ويمحو كل ما جارت عليهم من عقبات.

تنتابنى الحيرة كثيرًا .. لم أجد القرار المناسب .. أهو البقاء بجانب ذكرياتى التى لازلت أرغبها حتى يومى هذا والتخلى عن قلبى وعقلى المعلقين بعائلتى أم أذهب إلى المكان الذى أودعت به روحى التى لم تفارقنى حتى وإن سالت ذكرياتى على جدران قلبى وغمستة غمسًا فى أحقاب الماضى.

إنه القرار الأصعب فى حياتى الذى لم أدرك مدى صعوبته.

فماذا أفعل؟!

حتمًا يجب أن تشاركنى فيه حنان .. سأتصل بها .. والآن.

حينما هاتفتها لم يكن هاتفها متاحًا لكن بعد فترة قررت المحاولة مرة أخرى فنجحت تلك المحاولة وأجابت:

- حبيبى عامل إيه؟

- الحمد لله .. إنتى إيه أخبارك؟

- الحمد لله .. مالك صوتك متغير شويه فيه حاجة؟

- مفيش أنا محتار جدًا يا حنان ومش عارف أعمل إيه.

- فى إيه؟!

- فيه قرار محتاج أخده وبسرعة ومحتار فيه أوى.

- وإيه هو القرار ده؟!

- أنزل القاهرة واقعد فيها أكمل دراستى وأكون جنبك ولا أفضل فى إسكندرية عشان مش قادر أستغنى عنها وعن أهلى .. وبصراحة إسكندرية حتة منى.

فقالت فى ضيق ملحوظ:

- ما أديك أخدت القرار لوحدك أهوه عايز رأيى ليه.

فقلت لها:

- ساعدينى يا حنان .. أنا بجد مش قادر أستغنى عن إسكندرية وكمان مش قادر أستغنى عنك بجد ومش عارف أعمل إيه.

- أنا شايفة إنك لازم تيجى القاهرة عشان إنت إتعودت عليها 5 سنين وكمان دراستك كانت هنا وهتقدر تستفيد منها أكتر ولو على العيلة وإسكندرية ممكن تبقى تزورهم من وقت للتانى عشان ترتاح نفسيًا.

- إنتى شايفه كده؟

- طبعًا .. إلا إذا كنت إنت شايف حاجة تانية.

- والله أنا تعبان من جوا أوى .. الحيره هتموتنى بعد ما قعدت مع أهلى وحسيت بدفا العيلة اللى إتحرمت منه سنين طويلة .. بس كنت عايز أكون معاكى بصراحة.

- مشكلتك يا باسم إنك عايز كل حاجة .. لكن لازم تضحى بحاجة عشان حاجة هى دى الحياة.

مططت شفتى وقلت باستسلام:

- فعلًا هى دى الدنيا .. لازم تاخد حاجة وتدى حاجة .. مش كل حاجة بناخدها ولا كل حاجة بنديها.

- معاك حق والمفروض القرار قرارك على كل حال عشان ما تقولش إن حنان هى اللى قالتلى وترجع تلومنى.

- معاكى حق .. هحاول أخد القرار وربنا يسترها ويختارلى الأحسن.

- يارب.

- شكرًا يا حنان .. وإن شاء الله لما هاخد قرار هبقى أكلمك.

- أوك وأنا هستناك يا حبيبى .. مع السلامة.

- سلام.

لملمت وقتها ما تبقى من ذكريات الماضى فى جعبة الحاضر واتجهت إلى غرفتى وعزلت نفسى فيها تعتصر قلبى حلاوة الذكريات ومرارة فراق العائلة مرة أخرى وبين مرارة فراق حنان أكثر من ذلك.

فحياتى مع حنان لم تكن نَمَطِيَّةً على الإطلاق .. لكنها لا تزال عشقًا لائعًا يعتصر قلبى وروحى عندما أفارقها فهى جزء منّى لا أحتمل البقاء بعيدًا عنه على الإطلاق.

فماذا أفعل؟!

هل أظل هنا أم أذهب هناك؟

ما هو القرار؟

وأين هو؟!

وبعد ساعات عديدة من العزلة خرجت بالقرار الصائب الذى ستتوقف عليه حياتى كثيرًا إنه القرار الأصعب الذى اتخذته فى حياتى حتى الآن.

فجالست أبى قرابة الساعة لكى أخبره به .. هو حتمًا ما سيهون علىّ صعوبة ذلك الموقف وقد يفيدنى أكثر بما سيؤكد قرارى سواء هذا أو ذاك.

وفى النهاية قال أبى:

- إعمل اللى فيه مصلحتك عشان ما تضيعش تعبك ونتيجتك يا إبنى عشان لو لُمت حد مش هتلوم بعد كده حد غير نفسك.

حينها اتخذت القرار المناسب..

القرار المستحيل.

وبعد عدة أيام...

انتزعت حقيبتى بعدما نويت السفر والعودة إلى القاهرة من جديد .. ونظرات والدى يتخللها قليلًا من الندم لمساعدته لى فى اتخاذ ذلك القرار الذى لا يتمناه على الإطلاق ودموع ليلى التى كادت أن تدرك إننى قد جئت ولن أعود مرة أخرى وحيرة أمى وقلقها الذى يزداد علىَّ يومًا بعد يوم حتى ولو كبرت قامتى واشتد عودى.

ووسط تلك المواقف التى تذيب القلوب وتحير العقول .. لم أجد ما أقوله لكنوقتها نظر إلىَّ أبى نظرة تفهمتها كثيرًا نظرة نمت على دعاء واحد يتردد دائمًا على أذنى وهو) "ربنا معاك)

انطلقت من المنزل وسط حزن ودموع أمى وأختى ووالدى الذى يحاول أن يتمالك نفسه حتى وإن خالفه شعوره فدموعه تغالبه .. يحاول تهدئتهم دون جدوى ولم يجد هو من يهدئ من ألمه.

كم تمنيت إن كان الأمر بيدى لكى أقبع معهم فى تلك الحياة التى نشأت بها لكن ساقتنى قدماى إلى طريقها .. الذى يفترش تارة بالأشواك وتارة بالزهور العطرة .. تحملنى على فلك مُشَرَّعَة بين أمواج العشق ثم تلقينى خِلسة فى أعماقه.

وفى الطريق .. أخرجت هاتفى من جيبى ثم هاتفت عمى :

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام يا باسم .. عامل إيه يا حبيبى؟

- الحمد لله تمام.. إنت أيه أخبارك يا عمى؟

- بخير.

- كنت عايز أكلمك فى موضوع مهم .. ممكن؟

- ممكن يا حبيبى .. إتفضل.

فشعرت بقليل من الإحراج وأنا أتطلع لمثل تلك الطلبات التى لم أتخيل أن أطلبها يومًا من الأيام من شخص أعرفه حتى لا يظن أنه يُحملنى جمائل فاعتدلت فى جلستى ثم استطردت:

- فى الحقيقة يا عمى أنا كنت عايز أقولك إن أنا فى الطريق للقاهرة، وكنت عايز حضرتك تحجزلى الأوضة اللى قولتلى عليها دى.

- إتطمن يا باسم .. بابا قاللى على الموضوع وحجزتها هما بالغوا شوية فى إيجارها بس ولا يهمك.

- معلش يا عمى تعبتك معايا ومتشكر قوى على اللى بتعمله معايا.

- ولا يهمك يا باسم .. معلش يا ابنى اعذرنى .. بيتى إنت عارف يادوبك لاممنا بالعافية أنا ومراتى والولاد .. ولو كان عندنا أوضة فاضية ما أعزهاش عنك ولولا كده ما كنتش سمحتلك أبدًا إنك تسكن بره بيت عمك اللى هو يعتبر بيتك.

- معلش يا عمى .. الخيره فيما اختاره الله.

- على العموم كل حاجة جاهزة وأول ما هتيجى هتلاقينى مستنيك فى موقف الأوتوبيس .. قدامك قد إيه؟

- تقريبًا حوالى ساعة.

- طيب هستناك من قبلها عشان ما تستناش كتير بالشنطة.

- متشكر أوى.

- تيجى بالسلامة .. إن شاء الله.

- مع السلامة.

حينها شعرت بالجوع .. فأخرجت من حقيبتى قطعة باتية مغلفة .. فتحتها بلهفة ثم قضمتها بعنف وأخذت ألوك قطعتها فى فمى وبدأت أشاهد شاشة التلفاز المعلقة أعلى كابينة السائق .. وبعد أن أنهيتها تجرعت إحدى معلبات العصير.

الرطوبة سيدة الموقف الآن..

تسيطر على هواء الحافلة وأنفاس المسافرين تلتهم كل نسمة هواء منعشة يفرزها التكييف بصعوبة بالغة .. إنه تكييف متهالك لا تجد الشركة جدوى من تصليحه أو حتى صيانته .. نظرًا لأن التذكرة فئتها قليلة ولا يوجد فائض من ثمن التذكرة يكفى لإصلاحه.

حينها وجدت أن الحل الأمثل هو النوم هربًا من شدة الحرارة فأسندت راحتى إلى النافذه المجاورة .. وأخذ يداعبنى النوم إلى أن نال منّى.

وبعد فترة أثقل كتفى عن ذى قبل فقمت ناظرًا إلى اتجاهه فوجدت الفتاة التى تقبع بجانبى قد غلبها النوم هى الأخرى مسندة رأسها على كتفى.

فى الحقيقة كنت فى البداية أجد حرجًا فى إيقاظها أو حتى ملامسة وجهها لكى أزيحه بعيدًا عن كتفى خشية أن تستيقظ من نومها وتعلن عنَى كمتحرش .. والمؤكد أنك تعلم ما سأناله فى تلك الحالة إنها بركة ذلك الفعل .. لو علم القابعون فى الحافلة أنى لامست فتاة بالطبع سيهجمون علىَّ كى يجاملوا أو يتقربوا .. حتمًا ستظهر النخوة والكرامة ولكن على حساب رأسى .

لكننى فضلت الهجوم عن إبعادها عنى .. فعيناها متسعتان بأهدابٍ رشيقة وكثيفة ملامح وجهها كطفل بريء نائم فى مخدع دافئ قوامها ممشوق كغزال شارد فى غابات غريبة .. تبعث فى نفسك الشعور بالجمال النائم والأساطير الملونة.

أجمل أوقات تشاهد فيها المرأة وهى نائمة .. تكون أشبه بالملاك النائم تحمل بين ملامحها البراءة والوسامة والهدوء .. أنفاسها الدافئة التى تتسلل إلى قلبك

وأنت تتحسسها بنظرك .. خصلات شعرها المتناثرة بعشوائية بلهاء على جانبيها تثير النشوة فى نفسك لتلامسها بأناملك فمها الذى تعتصره حمرة الخجل .. ماذا تريد أكثر من ذلك.

كان ذلك كل ما طرأ على عقلى حينها حتى وصلنا إلى القاهرة.. ما أصعب ذلك الموقف.

عندما تحلم حلمًا جميلًا لا تريد أن تفيق منه إلا بإرادتك أنت.

عندها استيقظت الفتاة على صوت مشرف الرحلة معلنًا وصولنا القاهرة

فقامت من نومها ونظرت إلىَ فى تعجب وهى ترمقنى بنظرة (يا سِمّ!) ثم غادرت الحافلة فى تَرَفُّع .. فقلت فى نفسى:

- أبوس إيديكى .. خليكى نايمة أحسن.

بالطبع أدركتم الآن ما هو الوقت المناسب عندما تقترب من المرأة أو تبتعد عنها.

وفى تلك اللحظة غادرت الحافلة والتقطت حقيبتى فوجدت عمى فى انتظارى وبعد التحية والسلام استقلينا إحدى سيارات الأجرة إلى منزل عمى.

وفى الطريق:

- حمدلله على السلامة يا باسم.

- الله يسلمك يا عمى إيه أخبارك وأخبار الجماعة والولاد؟

- فى أحسن حال يا ابنى .. أنا تممت على الأوضة والحمام وحطيتلك فيهم كل اللى هتحتاجه .. ولو احتجت حاجة إبقى قوللى ما تتكسفش.

فقلت بعشم وامتنان:

- تسلم إيدك يا عمى ما كانش له لزوم تعبك دا أنا كنت هتصرف.

- لأ مافيش صرفة فى حاجة .. إنت هتكون هنا تحت عينى لو احتجت حاجة وما تعملش حسابك فى الأكل لأن مرات عمك هتقوم بالواجب وهتتغدى معانا كل يوم.

- لأ يا عمى معلش دى الحاجة الوحيدة اللى لازم أجيبها أنا كفاية اللى عملتوه معايا.

- لا يمكن يا باسم إنت هنا إبنى.. أنا ما بخليش إبنى يشترى حاجة من بره.

- معلش يا عمى ريحنى بالله عليك أنا هكون مرتاح كده.

- خلاص زى ما تحب بس مش هتنازل عن إنك من وقت للتانى لازم تيجى تتغدى معانا .. ماشى؟

- إن شاء الله يا عمى .. ومتشكر جدًا على اللى عملتوه معايا.

- ما تقولش كده يا باسم .. المثل اللى كان زمان بيقول الخال والد ده .. لازم يزودوا عليه إن العم كمان والد.

فابتسمت قليلًا قبل أن نصل إلى المنزل وعندما وصلنا دلفنا إليه.

كانت غرفة وحمامًا .. ففتح عمى الغرفة بالمفتاح وعبرنا للداخل غرفة شاسعة وكبيره كأنها غرفتين متصلتين بلا جدار تفصلهما مرتبة وبفضل الله ثم عمى وأسرته كانت كما الشقة 200 متربل وتحتوى كل ما أحتاج إليه من أساسيات الحياة .. ومن فرحتى احتضنت عمى بشده وشكرته شكرًا كثيرًا على ما فعله تجاهى بعدها قال:

- هسيبك دلوقتى يا فنان عشان تستريح شوية من تعب السفر .. وهستناك عشان تيجى تتعشى معانا.

فنظرت إليه نظرة عتاب ثم قلت:

- ما احنا اتفقنا يا عمى.

- وما تنساش إننا اتفقنا كمان على إنك تيجى تتغدى معانا من وقت للتانى معلش حتى النهارده بس عشان إنت راجع من السفر متأخر ومش هتلحق تجيب حاجة .. وزى ما قلتلك ما تتكسفش وتعمل فرق لحسن أزعل منك.

- ما أقدرش على زعلك يا عمى .. وربنا يكرمكم وينولكم اللى فى بالكم.

فسلم عمى علىَّ مردداً تحيته وفرحته بسلامة وصولى ثم تركنى بعدما وعدته

بحضور العشاء وأغلقت باب الغرفة وأخذت فى نقل ملابسى إلى الدولاب، وأخرجت (ترنج) وارتديته بعدها مددت جسدى على الفراش متأملًا أتحسس الغرفة الواسعة فى ذهول لما آل إليه حالى .. وأتأمل حياتى القادمة وماهيتها المجهولة حتى الآن.

ماذا أفعل؟

ومن أين سأبدأ؟!

ومن هنا راح عقلى فى نومٍ عميقٍ أجتاح تلابيب عقلى معلنًا هبوط خيوط الليل السوداء على جفونى التى استسلمت عندما انطلق أول خيط عليها كأنما تنتظره بفارغ الصبر حتى ترتاح من يقظتها المفرطة.

قبلها كنت أفكر فى حنان التى قد نالت النصيب الأكبر من تفكيرى عند عودتى للقاهرة.

ماذا سأفعل تجاهها وتجاه العمل المجهول الذى ينتظرنى؟!

ماذا سأقدم من أجلها وماذا ستقدم هى من أجلى؟!

فأخذت أفكر وأفكر فيها وحدها حتى حلمت بها.

الساعه الثامنة مساءًا..

عاد عقلى من رحلته بعدما انطلقت أصوات غريبة مبهمة بعض الشىء إنها أصوات أبناء عمى فقررت عدم النوم مرة أخرى .. فأى محاولة منى لن أجد إلا قلة راحتى منهم ولن أنال إلا الفشل الزريع فى كل محاوله للنوم منهم.

قمت من مرقدى .. متألمًا من تكسير عظمى وطأطأته المستمرة والتى تنم عن إرهاق شديد وجهد مرير يتجول بين أوصالى فى عنف فتحسست طريقى وعيناى شبه مغلقتين إلى الخلاء وحينما وصلت شعرت بالسعادةِ نوعًا ما .. لقد اعتدت قليلًا على المكان.

أكملت طريقى تجاه الصنبور أتحسس مكان المقبض إلى أن ظفرت به وفتحته فاندفعت منه المياه اندفاعًا شديدًا .. فقللت من اندفاعها ثم أخذت أطلقها على

وجهى بكثافة كى تمحو ضيقى وهمومى وحنقى من عدم إكمال فترة نومى إننى أحتاج قرابة العشر ساعات لكى أعوض ما فاتنى، فنظرت إلى وجهى فى المرآة فوجدته شاحبًا نوعًا ما.

تحسسته بأناملى حتى اعتقدت أن الهِرَم قد نال منَى حقًا .. لكن سرعان ما قاطعنى صوت عمى من الأعلى .. وأولاده الذين يلعبون ويعبثون بجانب الغرفه بعد ما صافحونى وأنا شبه نائم مستدعيًا إياى لكى أصعد.

عندها التقطت أدوات الحلاقة وأخذت أشذب لحيتى والتى لم أقو خلال يومين من الاقتراب منها .. ثم هندمت نفسى وبدلت ملابسى فى قليل من الضيق مرددًا فى نفسى..

* هذه ضريبة العيش بجانب الأقارب بل والأقرب منهم أيضًا.

عندها انطلقت للأعلى وخلفى أبناء عمى .. يصيحون فى بلاهة ويقرعون على الحوائط وعلى الأوانى التى يلعبون بها كمن يزفوننى إلى مثواى الأخير كما الزفة فى ليلة الزفاف .. لكننى وحتى الآن لم أحصل على الزوجة.

فاستسلمت للأمر .. مازلوا صغارًا يلهون ويمرحون دون أى حساب .. بالفعل كنت كذلك عندما كنت صغيرًا .. لكننى لم أكن شقيًا مثلهم بل كنت أهدى من ذلك بكثير.. ما أن انتهيت من درجات السلم حتى توقفت الزفة وانفتح الباب فرآنى عمى فابتسم ابتسامة صفراء ممتعضة قائلًا:

- إيه يا ولاد اللى بتعملوه ده والزيطة والزمبليطة دى .. إنتوا مش عارفين إن باسم جاى تعبان من السفر ولا إيه .. يللا خشوا على جوا .. إتفضل يا باسم.

***

(5)

دلفت إلى المنزل مبتسمًا على استحياء .. لم أتقبل يومًا ما العزائم عند أى شخص حتى الأقارب .. بات ذلك فى نفسى كمن يعطينى شيئًا وأنا لا أقدر أن أرده إياه نتيجة قلة حيلتى فى جلب المال أو حتى عذوبة حالى التى تثنينى عن القيام بها.

لكننى كنت مرغمًا على ذلك فإلحاح عمى جعلنى أوافق بلا تفكير وحتى لا يأخذها بحساسية بينه وبين أبى فقبلت.

فأجلسنى عمى على إحدى الأرائك بابتسامة ثم أردف:

- إتأخرت أوى يا باسم .. إنت كان واحشك النوم كل ده.

- إنت عارف يا عمى إن بقالى حوالى يومين ما بنامش كويس .. عمال أحضر فى الشنط وافكر هعمل إيه .. بصراحة الفترة اللى فاتت ما كنتش عارف هعمل إيه.

- ربنا يعينك أكيد موضوع كان صعب جدًا معاك لكن ربنا حلها والحمد لله.

عندها أطلق عمى حنجرته قائلًا:

- العشا فين يا فريدة؟!

فخرجت زوجته من المطبخ وهى تضع آخر صحن على السفرة محيية إياى ومريلة المطبخ معلقة على رقبتها:

- خلاص جاهز إتفضلوا .. حمدلله على السلامة يا باسم.

بدلة المطبخ فى ذهنى تعتبر أكبر وسام ترتديه المرأة على صدرها فهو رمز للتضحية من أجل الزوج والأولاد فلم أر مطلقًا امرأة تستحى أن تقابل بها أحدًا فقلت والخجل ما زال متمسكًا بى:

- الله يسلِمك يا مرات عمى .. ومتشكر على التعب اللى ما كانش له لزوم ده.

فقال عمى عنها:

- يا سيدى مفيش تعب ولا حاجة .. وقولتلك قبل كده بلاش الكلام ده إنت مش غريب.

- شكرًا يا عمى.

فدفعنى عمى بخفة إلى السفرة مرددًا:

- إتفضل.

فجلسنا جميعًا على السفرة بما فينا أبناءه الذين اعتادوا القرع على الصحون ولكن تلك المرة بالمعالق باعثة أصخب أنواع الموسيقى النشاذ التى لم أستمع إلها فى حياتى ولن أفعل.

ثم عادت زوجة عمى من المطبخ بعدما تخلت عن مريلتها وأحضرت آخر صحن وهممنا بتناول الطعام ثم بدأنا بسم الله.

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام .. جلسنا أنا وعمى سويًا نسترجع معًا قليلًا من ذكريات الماضى البعيد .. فعمى مثلى قليلًا فى غربته على حد قوله وغربتى أيضًا عن مسقط رأسى ومهد طفولتى الإسكندرية وبعد فترة منالحديث صمت عمى لبرهة ثم قال:

- أنا شايف فيك يا باسم نفسى أيام ما كنت بحاول أشق طريقى هنا فى القاهرة بس بصراحة حالى كان أصعب من حالك بكتير .. كنت بشتغل شغلانتين صغيرين عشان أقدر أصرف بهم على نفسى مع الدراسة .. لكن الحال دلوقتى الحمد لله بقى كويس معايا.

- الحمد لله ربنا يزيدك من نعيمه يا عمى.

فأشعل عمى سيجارة وهو يستطرد:

- ما حددتش هتعمل إيه يا باسم؟!

- والله لسه بفكر بس ربنا يسهل واقدر ألاقى حاجة تظبطنى على بال ما ألاقى حاجة كويسة.

- ربنا يوفقك يا باسم بس خد بالك .. الشغل هنا مش بالساهل عايز تعب وشقى عشان توصل لى إنت عايزه .. وبمناسبة اللى إنت عايزه .. ما قلتليش عايز توصل لإيه بالظبط.

- والله يا عمى أنا نفسى أكون رسام كبير وليا معارض كتير وطبعًا الربح المادى مطلوب لكن لسه محتاج تدريب وتفكير عشان أشوف هعمل إيه.

- بص يا باسم .. حكاية الرسم دى مش هتجيب حاجة بجد .. وكل اللى هتدفعه فيها مش هتعرف ترجعه وتكسب عليه حاجة .. أنا راجل عملى وبقولك الحقيقة عشان مصلحتك.

- أنا عارف يا عمى بس ربنا يسهل واشوف بس هعمل إيه وهدَوَّر على شغل وربنا يكرم.

- ربنا يوفقك يا ابنى.

بالطبع لم يروق لى على الإطلاق كلام عمى العملى فى ذلك .. فالرسم هو عشقى الوحيد الذى يخرجنى إلى عالم آخر بعيدًا عن المتاعب .. يفصلنى عن الواقع بحلوه ومُره.

فماذا سأفعل؟!

هذا هو السؤال المحير الذى يجتاح عقلى بعنف كإعصار مرير زادت قوته واستمد لوعته من كلمات عمى المريرة والتى حاولت أن أعصر جردل من الليمون على نفسى لكى أسمعه.

فى ذلك الحين خرجت علينا زوجة عمى بالشاى ووضعته على المنضدة ثم عادت إلى غرفتها كى ترعى الأولاد .. فاحتسينا الشاى مكملين حديثنًا بالطبع أصبح الآن معلومًا لديكم ولا داعى لسماعه حتى لا ينتهى الليمون من الأسواق.

وبعد الليمون .. أأأأ

أسف وبعد الحديث الشيق .. شكرته بشدة وحييت زوجته على تعبها بعدما تحملت عناء تجهيز الطعام وبالطبع عناء تحمل عمى الذى بات عمليًا إلى أبعد مدى حتى كاد ينحدر أكثر وأكثر لكن العناء الثانى لم يخرج من ذهنى مطلقًا.

اتجهت بعدها إلى غرفتى الواسعة حيث أدواتى ولوحاتى الرائعة من وجهة نظرى والتى علقتها على حوائط غرفتى لكى تكون دافعًا لى فى تحفيزى وعملى القادم خاصة وأنا فى أمسَ الحاجة إليها بعد حديث عمى المُحبِط.

عندها قررت طمأنة أبى بوصولى وبما فعله عمى تجاهى فهاتفته وشعرت بفرحته من ما فعله عمى معى وأطمأن قلبه علىَّ ثم طمأنت أمى بنفسى وطمأنت شقيقتى حتى شعرت بالرضا والطمأنينة مِنَى وعليهم. بعدها جمعت أدواتى وجهزت هاتفى النقال لسماع الموسيقى المحببة إلىَّ وصنعت كوبًا من القهوة كنت قد أحضرتها معى من إحدى المحال التجارية المختصةه بالبن الذى أحبه وبدأت فى الرسم.إنه حقًا عالمى الرائع والذى أتناسى فيه نفسى وأشعر بعلو روحى فى السماء أتحسسه فى كل وجه أرسمه .. منظرًا طبيعيًا أخطه أو ألقيه على الورق تلك قدرة الله سبحانه وتعالى فى خلقه وحلاوة قوة التفاصيل فى كل نعمة من نعم الله سبحانه أبدع وصور الإنسان فى أحسن صورة .. فليس علينا أنا نُفَبِّحَهَا على وجه الإطلاق بأى حالٍ من الأحوال.

وبعد ساعاتٍ طويلة..,

شارفت على أذان الفجر فتركت ما بيدى من رسمى الذى أعشقه وقمت لكى أعد نفسى لصلاة الفجر .. تلك التى تبعث فى روحى نشوة الإيمان وتعلو وتسمو بها إلى أعلى سماء .. خلوتى مع بارئى وقت ما يخلد الناس إلى النوم.

وبعد الصلاة..

أسلمت جسدى للفراش دون مقاومة إلى أن أطبق النوم على جفونى وأثقلهما. وفى غيابات عقلى انطلقت الحياة وانطلق الحب يشدو بأجمل تعابيره ونغماته التى باتت رسائل العاشقين معلقة على عبيرها .. ينتقل حينها بين القلوب فى تبختر

وشموخ يوزع بسماته علي القلوب بالعدل .. لا فرق بين قلبٍ وآخر إلا بدرجة صفائه ونقائه من الحقد والكراهية.

حينها ارتسمت الابتسامة على وجهى ممزوجة بحنين الماضى البعيد عندما رأيت حنان قابعة على إحدى الجوانب المغطاة بالحشائش فى حديقتنا المفضلة اتجهت إليها معلقًا عينى بها .. تتطاير خصلات شعرها من عبير زهور الحب المتناثرة بين جنبات الحديقة.

جلست بجانبها حينما وصلت .. ثم مددت يدى إليها والتقطت يدها فى حنوٍ ونظرت إليها نظرة لم أظمأ بعدها أبدًا اغتالت عطشى لرؤياها وعززت رغبتى فى البقاء بجانبها.

ضممت يدها إلى قلبى فى حنانٍ بالغ حتى بادلتنى الحنان وأراحت رأسها على كتفى فى سكون .. استسلمنا حينها إلى سهام الحب التى انطلقت علينا دون شفقة أو رحمة كى تخترق قلوبنا العاشقة فى لحظة ضعف.

قبلت باطن يدها حتى أظل دائمًا لها وتظل دائمًا لى ونحيا سويًا فى عالم خاص بنا لا يسوده إلا الحب وليس عليه سلطان إلا العشق .. تحرسه الملائكة من وحوش الكراهية وتحميه بدرع الحب من سهام الحقد.

وبينما كنَا قابعين هناك.. قامت حنان من مجلسها انفطر قلبى بِبُعدِهَا عنى وسارت بعيدًا إلى أبعد مدى وصوتى يعلو ويعلو حتى أنها لم تستجب له وهى تختفى رويدًا رويدًا وراء أشجار الحديقة .. حينها انطلقت منَى صرخة عالية لكن لم يُسمع لها صدى .. أخذت أنادى عليها بكل قوة فلم يصدر من فمى أى صوت تجاهها .. ماذا حدث لى .. ماذا حدث؟!

حينها فزعت من نومى .. إنه حلم .. قطعًا حلم .. لكن مُزجت نهايته بكابوسٍ مرير.

زرع التوجس والقلق بين جنبات قلبى فى حين نظرت حولى؛ فوجدت كل شىء كسابق عهدى به .. حينها رَنَّ جرس الهاتف المحمول فجأة .. حتى كاد قلبى ينشطر نصفين من فرط المفاجأة فالتقطته حينها كانت حنان فأجبت:

- ألو .. أيوا يا حبيبتى إزيك.

- الحمد لله يا حبيبى .. عامل إيه؟!

- الحمد لله .. إيه أخبارك إنتى؟!

- والله مش ولا بُدّ.

- ليه .. خير؟!

- وحشتنى بجد يا باسم.

- وإنتى كمان والله يا حبيبتى .. بس أعمل إيه بقى.

- عملت إيه فى قرارك اللى كنت عايز تاخده .. أخدته ولا لسه؟!

- إيه؟!

- بقولك .. عملت إيه فى قرارك .. خدته ولا إيه؟!

- لسه محتار.. شوفتى مش حلمت بيكى دلوقتى.

- بجد؟! حلمت بإيه؟!

- حلمت إننا قاعدين مع بعض فى الجنينة اللى بينحبها على النجيلة جنب بعض وحضنتك وبوست إيدك كمان.

- الله يا باسم .. أهو أنا نفسى تكون معايا دلوقتى.

- والله أنا من وقت ما كنت معاكى آخر مرة وأنا ما ببطلش أفكر فيكى.

- عشان كده حلمت بيا؟!

- وهفضل أحلم بيكى طول ما أنا عايش لآخر يوم فى عمرى.

فابتسمت حنان ابتسامة خفيفة شعرتُ فيها بأنوثتها تتوهج منها ثم قالت:

- ما قلتليش يعنى هتعمل إيه .. هتيجى القاهرة ولا هتفضل فى إسكندرية.

- خمنى إنتى أكون فين دلوقتى؟!

- ما تلعبش بأعصابى يا باسم إنت فين بقى؟!

- أنا هنا.

- لا والله .. أنا كنت فاكراك هناك .. هنا فين يا غلس.

- فى الـ .. الـ .. القاهرة.

عندها شعرت بفرحة عارمة اجتاحت قلب وعقل حنان .. حينما شعرت وقتها بمدى حبى لها وعشقى أيضًا .. وعدم قدرتى على الحياة بدونها وبعيدًا عنها .. فقالت:

- حبيبى والله مش قادره أوصف سعادتى بوجودك جنبى دلوقتى .. حقيقى فرحتنى أوى.

صمتت قليلًا ثم قالت لى:

- بس عشان خاطرى قولى بصراحة إنت جيت علشانى ولا علشان الشغل.

- الحقيقة أنا كنت جاى علشان الشغل.

- بطل غلاسه بقى وقول مش كل شوية تقعد تبوظ أعصابى كده.

- بصراحة أنا كنت ممكن أشتغل فى إسكندرية وكمان الشغل هناك موجود وكتير لكن أنا فضلت أجمع بين الشغل وبينك ففضلت آجى القاهرة.

- ربنا يخليك ليا يا حبيبى وما يحرمنيش منك أبدًا.

- ولا يحرمنى منك أبدًا .. بس بصراحة أنا عايز أشوفك.

- لأ بقى مش هنقضيها خروجات ونسيب الأهم .. عايزاك الأول تدور على شغل.

- معلش قبل ما أبدأ لازم أشوفك عشان بتفائل بيكى.

- والله أنا كمان نفسى أشوفك .. بس هنتقابل فين.

- فى نفس الجنينة اللى بدأنا فيها حبنا هو فيه غيرها .. شهدت على حبنا وأحلامنا وطموحاتنا وكمان كانت أجمل مكان جمعنا سوا.

- طبعًا يا حبيبى .. طيب هنتقابل إمتى؟!

- دلوقتى لو ينفع.

- لأ .. سيبنى بس أوضب نفسى عشان أقابلك .. ممكن نتقابل الساعة واحدة.

- طيب مفيش مشكلة .. هستنى الميعاد ده بفارغ الصبر.

- وأنا هستناه يا حبيبى .. قوم بقى إفطروشوف هتعمل إيه قبل ما نتقابل.

- لأ .. أنا مش هاهدى ولا هعمل أى حاجة غيرلما أشوفك. فابتسمت مرة أخرى قبل أن تقول:

- طيب .. هستناك هناك فى الميعاد .. إوعى تنسى.

- ده أنا أنسى نفسى وإسمى ولا أنساكي أبدًا.

- تسلملى يا حبيبى .. لا إله إلا الله.

- محمد رسول الله .

عندها أغلقت الهاتف وأخذت أعد نفسى لكى أقابلها .. طيلة ذلك الوقت كنت فى انتظاررؤياها بكل شوق وقد حانت اللحظة التى كنت أنتظرها.

وفى الموعد المحدد..

كنت قد اتخذت موقعى أمام الحديقة فى انتظارها .. انتظرت كثيرًا حتى جعلنى الانتظاركباقى المحبين .. أنتظرقطرات الغيث والتى لم يحن الأوان أن تسقط فلكل شىء موعد وموعد غيثى لم يأتِ بعد.

وبعد قليل .. وصل الغيث .. وصلت حنان تتبختر وتتمايل فى فرحة ملحوظة حينها ارتسمت على وجهى ابتسامة أضاءت ثغور الدرب المظلم الذى بات مخيمًا على قلبى فى الفترة الماضية حتى لامست يدها فاحتضنتها بعينى وقلبى حتى وصلها ذلك الشعور.

وبالطبع بات فى ذهنى رغبة بأن أحتضنها بشدة ولكن ذلك الفعل يتطلب مجازفة ولا يرضيكم أن أقضى ليلتى بعيدًا عنها وأنتم تعلمون جيدًا فى أى مكان سأقضيها حينها.

قطعت تذكرتين من شباك التذاكر وانطلقنا داخل منبع الذكريات إلى حنين الماضى وروعة الحاضر وجمال وآمال المستقبل .. وفى طريقنا صادفتنا النافورة الصغيرة فى المدخل والتى أخذنا عندها العديد من الصور وقتما كنَا فى الكلية.

***

(6)

كانت هى مقصدنا وقت حفلات أعياد الميلاد .. وملاذنا من الروتين اليومى الدراسى المعتاد .. تغير من مزاجنا من حالٍ إلى حال حتى أصبحت كبيوتنا نذاكر بها.. ونمرح ونلهو بها.. نستنشق الهواء النقى منها. إلى أن أصبحت جزءًا منَا وما أن وجدنا الحشائش حتى قررت أن نجلس عليها الحديقة كما هى منذ أن تركتها .. تجتاح الحديقة جميع الزهور والزروع البرية التى تعرفها والتى لم يحالفك الحظ لمعرفتها تطل على مساكن قديمة من التراث الجميل الذى ندعوه الماضى .. متسعة إلى أبعد مدى تحيطها روعة المعمار الإسلامى وعبق التراث .. ديكورات مذهلة كلوحة فنية رائعة حتى صنابير

المياه كان لها نصيب من الديكور .. فلم يكن أى شىء فى تلك الحديقة طبيعيًا واعتياديًا على الإطلاق. بل كان كل شىء بها مميز حتى وإن كانت صغيرة بالإضافة إلى قليلٍ من الإضافات كالنافورة الكبيرة وغيرها.

بالطبع كنت أرسم كل ما أشعر به فيها فى حين كنت أجلس بها وأتحسس روعة الفن والجمال الطبيعى الخلاب.

أما الآن فمعى القمر لحظة تمامه .. تجلس جانبى.

هل هذا حلم أم حقيقة؟!

هل مازلت فى الواقع أم غالبنى النوم أكثر وأكثر حتى جعلنى غير مدرك؟!

ألمس يديها حقًا..

أرى سعادتها بوجودى بجانبها..

أشعر بأنفاسها الساخنة..

تختلج أنفاسى برغبة..

أرى فى عينيها الماضى والحاضر وبزوغ المستقبل..

أَشتَمُّ عبيرها الوردى الذى يسعد لملامسته خصلات شعرها المسلسلة كالذهب الخالص .. من هى يا ترى؟!

هل هى ملاك أم بشر؟!

شمس تكونُ أم قمر؟!

تضع عبيرًا اصطناعيًا أم أن قلبها ينضح بأغنى العطور؟!

بريق عينها ينير لى طريق المستقبل الذى بات غائبًا.. لكن بريق عينها السوداء أنارلى طريق المستقبل كى أسير فيه دون شقاء.فهل ستدعنى الحياة أكمل رحلتى فيها بسلام؟! أم أن للقدر رأيًا آخر؟!

وقتها سنعرف .. لكل شىء موعد.

فى الحديقة..

نظرت كثيرًا إلى عينيها الساحرتين لكى أستمد منهما بريق عينى .. أنهل من عشقها وحنانها جرعاتٍ متتابعة حَلَّت محل شوقى إليها الذى طال.

جذبتُ يدها إلىَّ ثم قبلتها بهدوء وقلت برومانسية بالغة:

- وحشتينى أوى يا حبيبتى.

- وإنت كمان يا حبيبى .. وحشتنى أوى.

- هفضل معاكي طول عمرى.

- وأنا هكون معاك دايمًا يا حبيبى.

وفى تلك اللحظة لفت انتباهها الرباط الضاغط الذى ارتديته فى معصمى الأيمن

فنظرت إليه فى تعجب ملحوظ ولمعت عينها لمعة عجيبة فتساءلت:

- إيه اللى حصلك يا حبيبى .. إيه الرباط اللى إنت حاطه ده .. إيديك مالها؟!

- مفيش ده جزع بسيط جالى فى إيدى اليمين فربطته ولا يهمك .. مفيش حاجة تقلق.

- طيب الحمد لله .. خد بالك على نفسك عشان إنت تهمنى.

- تسلميلى يا حبيبتى.

فنظرت إليها نظرة حالمة قبل أن أقول متأثرًا:

- حبيبتى .. إيدى بتوجعنى أوى .. مش عارف فيه إيه .. ممكن تشوفيهالى.

فمددت يدى إليها فى سكون ناظرًا إلى حنان عينيها الذى بات بين جفونها ثم مدت يدها إلى الرباط .. فأشرت إلى المكان المقصود فمدت يدها فوجدت وريقة صغيرة فقلت لها:

- اسحبيها .. ورقة فى الرباط .. غريبة أوى دى؟!

- طبعًا .. غريبة أوى يا باسم .. إنت كنت بتربطه وانت نايم ولا إيه.

فابتسمنا ثم هَمَّت برميها بعيدًا فمنعتها وقلت لها:

- إفتحيها ممكن يكون فيها حاجة مهمة ولا حاجة.

فقالت متعجبة:

- ولو كانت مهمة إيه اللى هيحطها هنا؟!

- معلش شوفيها بس مش هتخسرى حاجة.

ففتحت الورقه ببطء فى تعجب من إصرارى فوجدت فيها كلمات بعثت فى نفسها التحفز لضربى .. فمدت يدها إلى كتفى بضربة خفيفة جعلتنى أبتسم كثيرًا من ذلك الموقف وابتسمت هى أيضًا ثم قلت لها:

- الورقة دى فيها اللى كان نفسى أقولهولك من زمان .. بس ما لقيتش حاجة تنفع غيركده عشان أعملها.

فنظرت إلىَّ فى حنق لذيذ وهى تضم شفتيها:

- كده يا باسم.

- بحبك أوى.

خططت تلك الكلمات كى أؤكد لها على حبى .. كانت دعابة منَى كى ألطف بها الأجواء أكثروأكثر.

حينها نظرت لها وابتسامتى مازالت على وجهى وارتسمت على وجهها ابتسامة إعجاب وقالت:

- وأنا كمان بحبك أوى.

حينها انطلقت فى أذنى كل أغانى الرومانسية تشدو بترانيم صوتها العذب الذى احتوانى واحتوتنى بحنانها وبسماتها وكلماتها العذبة .. شعرت وقتها أن الحياة ملكى بمفردى .. هل حلمى مازال ينبض أم أنها الحقيقة؟!

هل يجتمع فى الحقيقة الحب والطبيعة الخلابة والرومانسية التائهة؟!

بالفعل ليس حلمًا .. إنها الحقيقة التى أخشى أن أصدقها .. لم أصدق حينها نتيجة ما حدث لى بالماضى .. كثيرًا ما ضاعت من بين يدى أحلى الأوقات لأنها كانت زائفة لكننى الآن بين يدى الحب

أتنفس هواءه..

أتجرع شهده..

أسبح فى أعماقه.

قاطعت تفكيرى حينها حنان قائلة:

- نتكلم فى المفيد بقى.

- هو فيه أفيد من الحب؟!

- عشان خاطرى يا باسم.

- طيب يا قمر.. نتكلم.

- ناوى تعمل إيه بقى الفترة اللى جاية؟

- والله يا حنان ناوى أدور على شغل ربنا يسهلها وأقدر ألاقى شغل بسرعة.

فنظرت إلىَّ نظرة انتظار ثم قالت:

- وبعد كده؟!

- بعد كده .. أكيد هاكون نفسى عشان أقدر أتجوز.

- والله .. ما قلتليش إنك عايز تتجوز؟!

- ليه .. عندك عروسة؟!

فنظرت إلىَّ فى عدوانية جعلتنى ألملم ما تبقى من لسانى وأسكنه إلى فمى بسرعة ثم قلت:

- ما تخافيش يا حبيبتى .. أنا مش هتجوز غيرك مهما حصل.

- أنا مش خايفة من كده لأنى واثقة من ده .. لكن خايفة منك بصراحه عشان عارفاك مزاجك متقلب وممكن ترجع فى كلامك.

- لأ ما تقلقيش .. اللى حب مرة بجد مش ممكن يضحى بحبه بالساهل كده.

- طول ما إنت معايا .. أنا مش قلقانة.

- وأنا عايزك ما تخافيش من حاجة طول ما أنا معاكى .. أنا أضحى بعمرى كله عشان خاطر عيونك.

- تسلملى عيونك يا حبيبى .. ويخليك ليا يا رب.

فضممتها بين أحضانى وأسندت رأسها على كتفى حتى أغلقت عيونها تتحسس حنانى وحبى لها كأنها غادرت بروحها إلى عالمٍ آخر.

وبعد قليل..

غادرت الشمس إلى مخدعها فى سكون وأسدل الليل ستائره وخيوطه على دنيانا الحالمة .. فقمنا من مجلسنا وكلنَا آمال فى إكمال طريقنا الذى رسمناه سويًا منذ أيام الكلية وحتى ذلك اليوم .. أوصلتها إلى منزلها ينتابنى الرضا كثيرًا .. مما دفعنى إلى استكمال الطريق بعزم وقوة فى سبيل الحب الذى يجمعنا سويًا.

عدت إلى غرفتى .. أفكر فى تلك اللحظات التى جمعتنا .. إنها حقًا من الساعات القليلة والمعدودة التى تقتحم فيها السعادة دنياى وتخيم فيها على مشاعرى أخذت أتحسس فى رسوماتى المزيد من التفاصيل الجميلة والتى جعلها الحب أكثر نضارة فى عينى .. أتذوق حلوها بشراهة بالغة وأستمتع بألوانها كمن يراها لأول مرة.

عين المحبين ترى الدنيا بأجمل صورها وعيون المفارقين ترى الدنيا فى أدنى صورها..

فهى أولًا وأخيرًا (دنيا).

حينها .. انتزعنى هاتفى النقال من أعماق العشق الذى أبحرت فيه دون سابق إنذار إنه إياد .. من المؤكد أنه هاتفنى لكى يلومنى لعدم سؤالى عليه فأجبت:

- ألو .. إياد عامل إيه يا غالى؟!

- أول ما افتكرت تسأل؟!

- أنا كنت عارف إنك هتلومنى عشان ما كلمتكش الفترة اللى فاتت دى.

- وكنت مختفى فين بقى إن شاء الله؟!

- مفيش أنا مختفى فى القاهرة.

- القاهرة!! .. هو إنت لسه ما سافرتش؟!

- لأ .. سافرت ورجعت على طول واستقريت هنا.

- طيب تمام .. لقيت شغل ولا حاجة ولا لسَّه؟!

- لأ .. لسه ما دورتش لكن بكره هبدأ إن شاء الله.

- طيب .. ناوى تدور من أى مكان؟!

- والله مش عارف بس ممكن أبدأ بورش الرسم والتصوير وكمان هدور فى مكاتب كورسات الرسم وربنا يسهل.

- إن شاء الله .. ربنا معاك عايزين نشوفك بقى .. أنا اشتغلت مؤقتًا فى محل تصوير بس أما تيجى تنزل تدور على شغل كلمنى عشان أدور معاك.

- أكيد إن شاء الله وربنا يعيننا نحقق اللى بنحلم بيه.

- يارب .. إن شاء الله.

- إن شاء الله.

- سلام.

- سلام.

أغلقت الهاتف ثم مددت جسدى على الفراش مرتديًا كامل ملابسى .. لم أستطع تبديل ملابسى منذ ذلك الوقت .. فأكملت تأملاتى فيما حدث حتى انتابنى الملل فقررت الخروج إلى إحدى الحدائق المجاورة كى أستنشق الهواء النقى واصطحبت معى الكاميرا الخاصة بى .. كاميرا صغيرة الحجم رخيصة الثمن أحضرها لى أبى كهدية عندما علم بعشقى لفن التصوير والتى كانت ولا تزال من أجمل الهدايا التى جاءتنى حتى الآن.

انطلقت بين جنبات الحديقة أتأمل جمالها وألتقط الصور التذكارية لكل الأركان التى جذبت انتباهى حينها .. ألتمس نظرات المحبين بين بعضهم البعض .. تنضح أعينهم بما ينهمر من قلوبهم من مشاعر.

أكملت التقاط الصور بشراهة .. فالمناظر تبعث على البهجة والتأمل وعبير الزهور يثير العاطفة بين القلوب.

وبعد فترة كبيرة من التقاط الصور .. عدت إلى غرفتى فَرِحًا مَسرُورًا بذلك اليوم وما حدث فيه.

* * *

(7)

عندها بدلت ملابسى ثم إلتقطت زجاجة مياه من الثلاجه الصغيره وأخذت أتجرع منها رشفات متتابعة أروت ظمأى .. ثم بدأت فى تقليب الصور عبر الكاميرا حتى أنتشى بالمناظر الجميلة والتى باتت محفورة فى ذهنى .. حينها قررت عدم النوم عندما وجدت أن بعض الصور تستحق الرسم من بين ما رأته عينى فجمعت أدواتى وانتقيت إحدى الصور وأطلقت الأغانى الرومانسية من هاتفى احتفالًا بأكثر الأيام المحببة إلى قلبى .. وبدأت فى الرسم.

حينها ظلت المتعة رفيقًا لى تؤنس وحدتى وتقتل مللى بسرعة البرق حتى انتهيت بعد فترة من الرسم قرب صلاة الفجر فصليت الفجر حاضرًا ثم قررت النوم حتى أكون أكثر نشاطًا فى الغد لكى أستطيع البحث لساعاتٍ كثيرة دون كللٍ أو تعب حتى أُثقلت جفونى وغيمت على بؤبؤ عينى أردتهُ ساكنًا إلى الغد.

ومع أول خيوط النهار..

فتحت عينى بصعوبة بالغة ينتابنى الكسل من فرط الإرهاق.. يثقل كاحلى حتى لا أغادر الفراش .. لكننى أدركت حينها أن ما يدفعنى للعمل هو حبى لحنان الذى بات محل قلبى ووجدانى .. فتحاملت على نفسى وخلعتها من أسفل الغطاء ثم اتجهت إلى الخلاء فى ترنح وعيناى لا ترغبان فى الرؤية يكفيهم فقط أن يظلوا مُغلقين كى يحافظوا على آثار النوم التى لم تغادر محجريهما حتى الآن.

وبعد أن هندمت نفسى ارتديت كامل ملابسى .. أخذت أقلب فى هاتفى كثيرًا

قبل أن أصل إلى إاسم إياد فاتصلت به وبعد فترة وجيزة أجاب:

- باسم .. إنت فين؟!

- أنا فى البيت .. وقولت أكلمك قبل ما أنزل.

- طيب .. إنزل بسرعة عشان أنا قدامى حوالى 10 دقايق واوصل.

- هتوصل فين؟!

- الكافتيريا اللى بنقعد عليها.

- مقولتليش هنقعد هناك.

- معلش .. أنا بحسبك عارف.

- وهعرف منين؟!

- مش مهم دلوقتى .. المهم اخرج دلوقتى عشان تلحقنى هناك.

- أوك .. هخرج حالًا.

- هستناك هناك. .. سلام.

حينها أغلقت الهاتف ثم الغرفة بعدما أجمعت متعلقاتى منها قبل أن أغادر متجهًا إلى الكافيتيريا التى شهدت معظم أيام الماضى .. حينما وصلت إلى هناك لم أجد إياد بالمكان .. إنه كافيه الذكريات..

أعشق كل ركن به..

ينتابنى الفرح والألم معًا عندما أقبع فيه.

أتذكر أوقاتها التى آنستنى فى وحدتى أو فرحتى عندما ينفطر قلبى من إحدى أفعال حنان كنت أنزوى بها فى وحدة وسكون أستمع إلى كوكتيل الأغانى الحزينة المدجج بها هاتفى .. بجانب القليل من الأغانى الرومانسية والسعادة والتى قليلًا ما أستعملها.

لحظات كثيرة ومتناقضة قد مرت علىَّ بين حوائط هذا المكان .. يحمل طراز خاص فى كل تفاصيله تطغى عليه نقوش الأرابيسك الرائعة ولعبة الطاولة والتى

يحمل خشبها عبق القِدَم وأحيانًا عرق وبواقى مأكولات الزائرين .. أحيانًا أشعر بالغثيان

عندما أتذكر ذلك لكن يغنينى عنه أنه مأوايَ الذى أختلى به أشكو له أحيانًا تقلبات الدهر وأحيانًا يؤنسنى فى وحدتى عندما تضيق بى الدنيا.

فانتظرت أتذكر كل ما سنحت لى ذاكرتى من ذكريات الماضى حينها تغرد الطيور فى أذنى عازفة أجمل ألحان الطبيعية والتى لن تستطيع أى آلة عزفها بمثل ذلك الجمال .. لكن قُطعت الألحان وظل لحنًا واحدًا يقبع داخل نفسى وهو لحن الجوع تذكرت حينها أننى لم أتناول طعامًا منذ أن كنت بصحبة عمى أى قبل يومٍ كامل هل طغت علىَّ السعادة بكل خيوطها حتى أغمت عينى عن طبيعتى الفسيولوجية ورغبتى فى الطعام والحياة .. هل نسيت أساسيات حياتى حتى أن الحب بدلها بنجاح دون أن أشعر.

هل سُحرت؟!

هل فقدت الذاكرة؟!

أم أننى فقدت روحى؟!

لا يهمنى ما فقدت بقدر ما اهتممت بامتلاك السعادة ولو لوقتٍ قصير.. حينها اندلعت ألحان الجوع أكثر وأكثر تصرخ فى معدتى بولعٍ ونَهَم .. فلم أستطع أن أنتظر إياد أكثر من هذا .. فقمت واتجهت للمطعم المجاور للكافيه سريعًا كالعاشق الذى يهرول إلى معشوقه.

اشتريت 2 ساندويتش من الفول والفلافل ثم عدت إلى الكافيه .. فطلبت زجاجة من المياه الغازية المفضلة لى .. فأحضرها لى عامل الكافيه ومعها كوبًا فارغًا لكى لا أرتشف من الزجاجة شيئًا كأنها خطوة بروتوكولية من عامل المقهى بعدها هجمت على الطعام وأخذت ألتهمه بنهم .. حتى أن رواد الكافيه أخذوا فى النظر إلىّ رغبة فى سؤالى .. ألم تأكل منذ سنوات؟!

تركت أعينهم تتساءل وأكملت .. كنت كالسبع الذى انقَضَّ على فريسته بعدما قرص الجوع معدته فأفضى إليه فى البحث عن فريسة والتهامها.

وأثناء تناولى الطعام .. أخذت أرتشف بعد كل قضمة وقضمة رشفة من الكوب المعبأ بالمياه الغازية .. حتى وصل إياد وضرب على كتفى صائحًا:

- خيااااااانة!!!

فنظر جميع القابعين على إياد الذى احمَرَّ وجهه خجلًا نتيجة ما فعل ثم أردف قائلًا:

- إنت بتفطر لوحدك وما إستنيتنيش؟!

- إنت عارف أنا ما أكلتش من إمتى؟!

فقال إياد فى سخرية:

- هيكون من إمتى يعنى؟!

- من أول إمبارح.

- يااااااه .. وليه كده؟!

- كنت إمبارح معاها يا سيدى.

- كنت مع مين ومين هى؟!

- حنان.

- آه .. قول كده بقى .. عشان كده كنت مختفى طول الفترة اللى فاتت وما إتصلتش بيا.

- لأ .. الموضوع إنى ما قابلتهاش غير إمبارح عشان وحشتنى بجد .. أما قبل كده كنت لسه بوضب شوية حاجات بعد ما جيت القاهرة.

فضحك إياد ثم أكمل:

- مين قدك يا عم .. إنت قاعد تحب وسايبنا .. فعلًا من لقى أحبابه نسى أصحابه.

obeikan.com

- ياعم روح هو الواحد بيعرف يا خد منك حاجة غير التريقة.

- معلش بكره تاخد غيرها كتير.. أنا هاروح أجيب حاجة أكلها أجيبلك معايا كماله.

- لأ .. أنا خلصت الحمد لله وشهل شويه عشان عايزين ننجز.. لسه ورانا لف كتير.

- طيب يا عم ما تزقش.

فإبتسمت من دعابة إياد ثم أخذت أتأمل المكان مرة أخرى حتى عاد وتناول طعامه وشرب مشروبًا هو الآخر بعدها انتوينا الرحيل.

عندها كان علينا بالبحث كلًا منَا على حدة ثم نتقابل فى مكانٍ ما بعد كل بحث فبدأ إياد بمحال التصوير الكبيرة وبعض الشركات الهندسية حيث يملك موهبة التصوير بحرفية عالية ويتقن العمل على برامج الصور جميعها بلا استثناء، وأكملت أنا البحث فى بعض الورش التى كنت أتعلم بها كى أُحَسِّنَ مستواى والأن أبحث عن مكان لى كمعلم لفن الرسم وبالطبع وجب أن أمر على بعض العامة والخاصة لعرض أعمالى ومحاولة عرضها لا بيعها .. فلم أصل حتمًا لتلك المرحلة أن أبيع لوحاتى الغالية المقام عندى من أجل المال .. وإن باتت الفكرة بالنسبة لى لم يحن أوانها.

ظللنا نبحث ونبحث حتى انتهى وقت العمل فى العديد من الأماكن مما دفعنا إلى إنهاء البحث فى ذلك اليوم وإرجاءه إلى الغد.

حينها قال إياد وهو يخرج أنفاسه بصعوبة فى نهيج متتالى:

- أنا تعبت فعلًا ومفيش فايدة.

- معلش يا إياد .. دا إحنا ما بقالناش غير يوم بس .. طب هنعمل إيه فى الباقى؟!

- اسمها هتعمل إيه.

- يعنى إيه مش هتيجى معايا بكره؟!

- لأ طبعًا .. أنا عندى شغل مؤقت يا عم هركزفيه.. لما ييجى يوم الأجازه هبقى أدور معاك.

- أوك .. ماشى.

- طيب مش هناكل؟ .. أنا هموت من الجوع.

- لأ معلش أنا عايزأروح عشان أستريح .. لو إستنيت أكل مش هلحق أنام عشان مشواربكره.

- زى ما تحب.

- مش عايزحاجة؟!

- لأ .. سلام.

- سلام.

***

obeikan.com

(8)

فصافحته وتركته وغادرت إلى منزلى محضرًا معى القليل من الطعام وما أن دخلت غرفتى حتى بدلت ملابسى وقبعت على الفراش محضرًا إحدى الصوانى الدائرية أمامى ووضعت الطعام وبدأت فى تناوله وما أن انتهيت حتى أعددت قهوتى المفضلة ومددت جسدى على الفراش أتأمل ما حدث فى إرهاق من كل ما يحدث وأرتشف جرعات من القهوة فى سكون إلى أن قطع تأملى الهاتف فنظرت إلى الشاشة فرأيت حبى يتصل بى فأجبت:

- أيوه يا حبيبتى .. إزيك؟

- الحمد لله يا حبيبى .. وإنت عامل إيه؟!

- بخير.

- عملت إيه فى حكاية الشغل؟!

- والله أنا دورت النهارده كتير لكن مفيش نتيجة لغاية دلوقتى.

فتنهدت حنان ثم قالت:

- ولا يهمك يا باسم .. المهم إنك دورت وأكيد مش هتلاقى حاجة كده من أول يوم.

- على كل حال أنا هدور بكره كمان وإن شاء الله يكون فيه نتيجة.

- المهم إنت كويس؟!

- الحمد لله .. أنا بس تعبان من مشوار النهارده.

- معلش يا حبيبى .. يا ريتنى كنت جنبك كنت هَوِّنت عليك التعب ده.

- إن شاء الله يا حبيبتى .. هنبقى مع بعض بس لما ربنا يسهلها بشغل.

- هستناك يا حبيبى .. وهكون معاك دايمًا فى كل وقت .. بس المهم تاخد بالك على نفسك.

- ما تخافيش عليا يا حبيبتى .. تصبحى على خير.

- وإنت من أهله يا عمرى.

أغلقت الهاتف فى سعادة .. لقد جددت نشاطى ورغبتى فى البحث أكثر وأكثر فأسلمت رغبتى للنوم حتى اندفعت فيه.

وفى الصباح.. أعددت نفسى للخروج والبحث عن عمل .. راجيًا من الله التوفيق فى بحثى لكننى قررت أولًا أن أتناول إفطارى ربما يطول وقت البحث .. ذهبت إلى الكافيه المعتاد ومعى الطعام .. لكن أوراقه تقطعت فطلبت من العامل إحدى الجرائد القديمة لكى لا تتسخ المنضدة .. فوضعت أحد أوراقه أسفل الطعام وحينما كنت منهمكًا فى تناول الطعام لفت انتباهى باقى الجريده التى أخذت منها الورقة .. ففيها وجدت إعلان وظيفة بإحدى المطابع تطلب مصممين أغلفه كتب ومطبوعات.

فنظرت إلى تاريخ صدور الجريدة فوجدتها مؤرخة بتاريخ الأمس حينها أخذت أفكر قليلًا.

كيف أقدم فى تلك الوظيفة؟

وكيف أقبل بها؟

وهل تصلح لى؟

تأملت من حولى فى هدوء كأننى أبحث عن الإجابة فى وجوه من حولى.

تأكدت كثيرًا من صلاحيتى لهذا العمل .. لقد كنت أتقن برامج الصور الذى علمنى إياد إياها بجانب قليلًا من التدريب يجب أن أتبعه كى أُحسن من مستواى فيها.

فهممت بالقيام بعدما دفعت مبلغ نظير الخدمة والمشروب واحتفظت بالجريده تاركًا الكافيه متجهًا إلى المطبعة.

كانت مطبعة كبيرة تعج بالأشخاص والأجهزة الغريبة المظهر تشعر عند دخولها بأنها جزء من التاريخ كنت حينها أشعر بالتوتر والقلق؛ لذلك الكَمّ الهائل من البشر المتقدمون للوظيفة وضعف احتمالاتى بالنجاح فى ذلك الموقف الصعب .. لكن إرادة الحب داخلى تحركت فى قوة وثبات حتى أعادتنى إلى اتزانى قبل دخولى المقابلة.

وبعد المقابلة وعند إعلان النتيجة تم اختيارى مع اثنين آخرين. بالطبع كان هناك العديد من الأشخاص يحترفون برامج الصور والتصميم على وجه الخصوص ولكن تم اختيارى.

انتابنى الشعور بالفرح والبهجة لما حدث .. لقد حققت شيئًا من ما أردت وتحدد موعد العمل وقدمت أوراق لكى أكمل إجراءات التعيين حتى أعود لأبشر أهلى وحبيبتى حنان.

وبعد انتهاء الإجراءات غادرت المطبعة ومنها إلى البيت فهاتفت عائلتى وطمأنتهم بحصولى على عمل .. بعدها هاتفت حنان فلم تُجِب .. مرات ومرات إلى أن سمعت طرقًا على الباب فقمت من مجلسى وفتحت الباب .. إنه عمى فدعوته للجلوس وأعددت له قهوته المفضلة ثم أردف قائلًا:

- إيه يا باسم .. ما بتعديش علينا ليه؟!

- مفيش والله يا عمى .. أصلى كنت بَدَوَّر على شغل.

فأكمل بعتاب:

- واللى بيدور على شغل ما يسلمش على قرايبه ويبقى مشغول للدرجة دى؟!

- معلش يا عمى .. كنت مشغول أوى.

- طيب وعملت إيه.

- الحمد لله إتعينت فى مطبعة مصمم مطبوعات.

- مبروك يا باسم .. لكن اعذرنى هو إنت بتعرف تصمم.

- بعرف .. أصل إياد صاحبى علمنى شوية حاجات كويسة فى التصميم وناوى أحسن مستوايا فى التصميم لكن محتاج كمبيوتر.

- كمبيوتر؟! وناوى تجيبه منين؟!

- والله مش عارف .. بس بفكر إنى أشترى واحد مستعمل من المول لما أقبض عشان هينفعنى أكيد فى شغلى.

ففكر عمى مليًا قبل أن يقول:

- إيه رأيك فى اللى يحللك المشكلة دى .. ومش هتدفع غير حاجة بسيطة.

- إيدى على كتفك يا عمى.

- أنا عندى كيسة قديمة شوية .. إيه رأيك لو تودها عند أى مهندس كمبيوتر ويحاول يصلحهالك .. وتشترى بس شاشة مستعمله ويبقى كده حليت المشكلة.

- ياريت والله يا عمى .. أنا مش عارف أقولك إيه؟

- ما تقولش حاجة .. أهم حاجة تنتبه لشغلك وتاخد بالك على مستقبلك.

- ربنا يخليك ليا وما يحرمنيش منك أبدًا.

عندها ارتشف عمى آخر رشفة من قهوته وسيجارته التى عبأت المكان .. لكننى تجاوزت ذلك .. فى كل مرة يثبت لى أنه خير من يدعمنى بعد أبى الذى لم تشأ الظروف أن تجمعنا .. ثم قال:

- أنا هطلع بقى أريح شوية عشان راجع من الشغل تعبان وبالليل هَنَزِّلَك الكيسة تمام.

- تمام يا عمى ومتشكر أوى .. أوى.

- إنت ابنى يا باسم .. مبروك يا حبيبى.

- الله يبارك فيك يا عمى.

- مع السلامة.

- سلام.

غادر عمى الغرفة مباركًا لى على عملى ثم فتحت إحدى النوافذ لكى لا أختنق من دخان سيجارته الكثيف .. والبهجة والسرور لا يزالانِ متمسكين بأماكنهم على وجهى الباسم حينها تذكرت حنان التى لم تُجِب على الهاتف .. فكررت المحاولة مرة أخرى .. حتى أجابت:

- ألو .. أيوه يا باسم.

- أيوه يا حبيبتى عاملة إيه؟!

- الحمد لله وإنت؟!

- بخير .. عندى ليكى خبر جميل أوى.

- خير .. قول.

- أنا هستلم شغل بكره.

- بجد؟!

- ودى حاجة فيها هزار برضو.

- لأ طبعًا .. مبروك.

- مالك يا حنان .. حاسس إن فيه حاجة مضايقاكى .. فيه إيه؟!

فقالت بضيق:

- مفيش حاجة.

- وهو أنا ما أعرفكيش .. فيه إيه يا حنان؟!

فشعرت بدموعها تتساقط وبصيص من النحيب يجتاحها فأدركت حينها أنها لن تستطيع أن تتمالك نفسها أكثر من ذلك قبل أن تقول بصوتٍ مبحوح:

- أمى عماله تتحايل علىَ إنى أتجوز وعايزه تجوزنى أول واحد يتقدملى عشان حجتى اللى هى التعليم خلصت فـ مفيش مبرر إنى أفضل من غير جواز حتى حجتى إنى أشتغل خلتها متمسكة بالجواز أكتر.

- طيب وبعدين يا حنان هنعمل إيه.

- يعنى إيه هنعمل إيه؟! .. إنت لازم تشوفلك حل وإلا هتلاقينى متجوزة فى أى

obeikan.com

وقت.

- دا أنا لسه هاتلم شغل بكرة ولسه ما كَوِّنتِش نفسى أصلًا .. يبقى هتقدملك إزاى؟!

- طيب وأنا ذنبى إيه بحاول كل شوية ومش عارفه أعمل إيه تانى وأمى مصممه إنها تجوزنى وخلاص.

- طيب سيبينى أفكروهبقى أكلمك.

- إنت لسه هتفكريا باسم .. بقولك ممكن أتجوز .. تقولى أفكر؟!

- طيب هبقى أكلمك بس سيبينى أشوف هعمل إيه.

- يا باسم .. باسم.

أغلقت الهاتف عنوة .. لقد علا صوتها فى الهاتف .. لماذا تكلمنى بتلك الطريقة؟! هل قصرت فى شيء؟!

بحثت عن عمل وشارفت على استلامه وقاربت أيضًا من تحقيق أحلامى ولكن لن أستطيع تحقيقها دون خطوات أخطوها لن أستطع تخطى كل الخطوات فى غمضة عين .. فماذا عساى أن أفعل؟! هل أستمر فيما بدأته؟

هل أبقى على حبى وأجازف بالتقدم لخطبتها وأنا لا أملك حتى بيتًا نعيش فيه؟! أم أضحى بحبى من أجل تحقيق أحلامى؟!

ظل عقلى يفكر ويفكر صراع مرير اجتاحنى دون سابق إنذار حتى قادنى إلى غياهب النوم.

وبعد فترة قمت من نومى فى ضيق .. أُثقل التفكير عقلى .. فوضعت رأسى أسفل صنبور المياه فى حيرة من أمرى .. ثم التقطت المنشفة وأخذت أُخللها بين خصلات شعرى ثم نظرت فى المرآة وعقلى دائر فى ذات الصراع المرير بعدها خرجت كى أشترى طعام الغداء وعدت مرة أخرى .. لكننى لم أتناول الكثير منه حيث أننى لم يكن لدى رغبة حقيقية فى تناوله بعد ما أخبرتنى به حنان.

***

(9)

حينها طُرق الباب ففتحته فإذا بعمى يحمل الجهاز بين يديه فالتقطته منه وأودعته على الأريكة ودعوته للجلوس لكى يستريح وأعددت له قهوته مرة أخرى.

وبعد حضورى بالقهوة قال لى:

- دى الكيسة القديمة اللى قلتلك عليها .. إبقى وديها للمحل اللى جنبنا وإبقى إسأله على شاشة بقى عشان الجهازيكمل.

فابتسمت كثيرًا من ما قاله عمى وشكرته بامتنان وما أن أنهى قهوته وسيجارته المعتادة حتى قال مبتسمًا:

- ياريت المرة الجاية تجيبلى عصيرولا حاجة بدل القهوة اللى زَرَّعِت منَى.

فابتسمت قائلًا:

- وعد منَى بس أنا عارف إنك بتحب القهوة.

فقام عمى من مجلسه ثم قال لى:

- مبروك يا باسم وربنا يوفقك فى شغلك.

- الله يبارك فيك يا عمى.

فربت على كتفى مبتسمًا ثم غادر المكان .. حينها ذهبت إلى مركز الصيانة وبالفعل تم تصليح الجهاز واشتريت شاشة صغيرة وملحقات الجهاز التكلفة كانت عالية نوعًا ما .. لكن ما دام هناك عمل فسوف يعوض ما تم دفعه فيه.

فأحضرت الجهاز إلى غرفتى وسعدت بخطواتى التى اكتملت وأنا

فى طريقى إلى النجاح فى عملى .. ولم يتبق لى سوى طريق واحد طريق حبى الذى مازال المسار إليه مجهولًا.

وفى اليوم التالى...

ارتديت ملابسى واتخذت طريقى إلى أول يوم عمل .. بالطبع كانت تلك اللحظة تحمل نكهة مميزة عن باقى اللحظات .. لكننى لم أنتبه لذلك حيث أن هناك هدف أسمى عندى من العمل وهو الفوز بقلب حنان التى ظلت بجانبى طيلة السنوات الماضية أستمد طاقتى من حبها لى وأبعث لها بترانيم حبى .. حينها دلفت إلى الردهة الخاصة بالمطبعة وتساءلت عن مكتب السكرتارية فدلنى إليه العامل فأسرعت تجاهه حتى وصلت إلى السكرتيرة النصف حسناء .. كعادة السكرتارية يجب أن تكون على درجة عالية من الجمال وبطبعى وعشقى للفن وللجمال وجدتها نصف حسناء حينما دلفت إلى مكتبها وجدتها تحمل مرآة وتنظر إلى وجهها آلاف المرات حتى عندما مررت بالداخل لم تترك المرآة من يدها بل ظلت تنظر إلىَّ نظرات استخفاف كثيرة لا تشبع منها.

حينها قطعت تركيزها عنوة وقلت:

- السلام عليكم.

فأجابت بامتعاض:

- وعليكم.

- أنا اللى المدير عينى ودى أوراق.

عندها التقطت الأوراق بترفع وأخذت تفرها واحدة تلو الأخرى ثم أشارت برأسها علامة على الموافقة واصطحبتنى إلى مكتبى المتواضع .. فهو صغير الحجم منزوٍ فى إحدى الأركان .. لكننى لا أهتم لذلك فكل اهتمامى الآن يصب تجاه حنان.

جلست على المكتب أتحسس أخشابه العتيقة نوعًا ما وأداعب أدواته والابتسامة لا تكاد تفارقنى أبدًا فتلك أول خطوة لى فى طريق النجاح الحقيقى بعدها دلف إلىَّ شخصٌ ما وأخذ يتفحصنى كثيرًا إلى أن قطعت تساؤلاته وقلت:

- أنا باسم الموظف الجديد.

فصافحنى مبتسمًا لما سمع ثم قال:

- وأنا هيثم القديم .. بس مش قديم أوى.

فابتسمت لتلك الدعابة وأدركت أنه من المؤكد أنه شخص جيد فجلس بجانبى بعدما سحب كرسيًا ثم قال:

- ياريت تكون مبسوط معانا هنا إن شاء الله.

- إن شاء الله.

- بُصّ يا باسم .. طبيعة عملنا صعبة وسهلة فى نفس الوقت .. يعنى الصعب يتلخص فى إنك تخرج فكرة التصميم اللى فى دماغك على الورق وده متعب جدًا زى ما إنت عارف والسهل يتلخص فى إنك تسلم المطابع التصميم اللى إنت خلصته .. شوفت إنها صعبة وسهلة فى نفس الوقت .. الأهم إنك تاخد بالك من المسافات وطبيعى تاخد بالك كمان من أنواع التصميمات.

- عارف أنواعها كويس أوى عشان عملت منها كتير قبل كده لكن لسه ما وصلتش لدرجة الاحتراف.

- ولا يهمك يا باسم .. من كتر الشغل والممارسة هتكون محترف أكيد.

- يا ريت يا هيثم.

- أكيد إن شاء الله وأنا هكون جنبك على طول لحد ما تقف على رجلك.

- متشكر أوى يا هيثم.

- الشكر لله .. ربنا يوفقك فى شغلك.

- يارب.

بعدها عاد هيثم إلى مكتبه وأخذ يعمل بعدما دلنى على أعمالى كاملة قرابة الساعة وبدأت العمل وانهمكت فيه حتى أننى شعرت بالراحة تجاه ذلك نتيجة ذلك العائد من عملى والذى سيفيدنى حتمًا من أجل الحب.

مَرَّ اليوم كأنه عامًا بأكمله .. فتلك أول مرة أقوم بعمل بعد أعوام متصلة من الدراسة وبعيدة أيضًا عنها لكننى تعهدت على نفسى أن أبنى نفسى بنيانًا شامخًا من البداية حتى لا تهزنى ريح أو أعاصير مارة على سمائى دون سابق إنذار.

وفى المساء..

عدت إلى غرفتى أجر قدمى جرًا من ثقلهما بعد العمل .. عندها ارتميت بجسدى على الفراش فى تأوه لكن هوَّنَت علىَّ صورة حنان التى رسمتها من قبل من الدنيا الكثير كانت تطل علىَّ من الحائط كإطلالة القمر فى تمام الكمال.. وبسمتها تجذبنى كشعاع الشمس الذى يجذب نحوه محبين الدفء والوئام .. تبعث فى نفسى حلاوة لا تضاهيها حلوى المولد أو أعتى الشوكولا الفرنسية .. إنه الحب.

ذلك الشعور السحرى الذى تخر أمامه كل المشاعر وتدنوا .. فكلما ارتفع دنت باقى المشاعر من فرط ضآلتها أمامه .. فالحب يجتاح القلب كى يملأ وجدانك وحياتك بأكملها دون أن يترك مكانًا لمشاعر أخرى تجتاحك دونها .. عندها تدرك أن الحب كالمايسترو يحرك مشاعرك كاملة دون أن يخلطهم والكلمة العليا بينهم يسطرها هو بشموخه واجتياحه العاصف.

أخذت أمعن النظر فى صورتها وأنتشى بها إلى أن تخللنى صوت هاتفى فوجدتها حنان:

- ألو.. أيوه يا حبيبتى عاملة إيه.

- الحمد لله .. إنت عامل إيه.

- بخير.. النهارده استلمت الشغل عشان أثبتلِك إنى جدير بيكى وبحبك.

- صحيح .. ربنا يوفقك يا حبيبى فى شغلك.

- مالك صوتك متغير كدا ليه .. هو إنتى تعبانه ولا حاجة.

- لأ أنا كويسة .. بس فيه مشكلة ومش عارفه أعمل فيها إيه.

- إيه هى؟! العريس صح؟!

- صح .. ماما عايزة تقابله بكره وإديتله الميعاد كمان .

- وإنتي عملتى إيه؟!

- ولا حاجة .. وأنا هعمل إيه؟!

- لأ .. ما تعمليش حاجة واقعدى إتفرجى .. هو أنا مش قولتلك تحاولى تكلمى ماما عنى وتقوليلها تصبر شوية.

- لو سمحت مش عايزة تريقة .. أنا قلتلها من غير ما إنت تقولى وهى دى النتيجه قالتلى إنك لسه قدامك مشوار كبير وكمان مش قد إنك تتقدملى وفضلت إنها تقابل التانى عشان جاهز من كل حاجة.

- وبعدين يعنى؟!

- حاولت كتير لكن ما لقيتش أى حجة أو حاجة تانية عشان أخلى ماما تبعدنى عن العريس اللى جاى ده لكن مفيش فايدة.

- شكلك كده موافقة؟!

- طبعًا مش موافقة لكن أمى موافقة.

- وهى أمك اللى هتتجوز؟!

- لأ .. بس أمى هى اللى هتجوزنى وبتنقى لى عريس مناسب.

- بصى بقى يا حنان .. أنا عملت كل حاجة عشانك واشتغلت عشان أكوّن مستقبلى عشانك برضه وبعد كل ده ييجى واحد عشان فلوسه ياخدك منى حرام ده ولا حلال؟!

- ياريت ما تقعدش تعايرنى باللى بتعمله عشانى كل شوية .. إنت لو عملت حاجة يبقى بتعملها عشان نفسك قبل منى.

- والله .. ماشى يا حنان وبعدين؟!

- وأنا دلوقتى قدام الأمر الواقع اللى أمى حطتنى فيه .. هعمل إيه؟!

- أنا مش هقدر أتقدم دلوقتى أبدًا دا أنا لسه مستلم الشغل النهارده عشان أبدأ أكوّن حاجة تساعدنى إنى أتقدملك.

obeikan.com

- طيب وإيه العمل بقى؟!

- مفيش غير إنى أتقدملك بسرعة يمكن أحاول أقنعها بأى حاجة.

- وهتقنعها بإيه وإنت ما عندكش حتى شقة؟!

- سيبيها على الله وإن شاء الله تتحل هحاول أقنعها إنى هجيب شقة إيجار لغاية ما أشترى شقة قريب.

- لكن أنا عارفة إنها مش هترضى.

- ما تقفليهاش وحياتك .. أنا فيا اللى مكفينى.

- ياريت تنفع .. ياريت.

- إن شاء الله .. بس حدديلى إنتى ميعاد معاها بس وربنا يسهلها.

- يارب.

- وحشتينى.

- إنت فايق ورايق والله.

- مش كفاية عكننة الشغل.

- هنعمل إيه ما إنت شايف اللى هيحصلى منك.

- إن شاء الله تتعدل.

- طيب إستريح شويه بقى .. عشان شكلك جاى تعبان ونكمل كلامنا بعدين.

- حاضر يا حبيبتى .. مش عايزه حاجة؟

- لأ يا حبيبى .. عايزه سلامتك.

- تسلمى .. مع السلامة.

- مع السلامة.

***

(10)

فأغلقت الهاتف وأخذت أدبر أمرى فى عقلى لما أنا مقبل عليه من تحديات فى حياتى لفترة حتى غالبنى النعاس لكننى لم أحتمل أن أنام وفى عقلى ذرة انشغال تشغل عقلى فقمت من فراشى أغالب أمرى حتى اتخذت قرارًا بالرسم.

وفى ظل تلك الظروف .. وصعوبة تحريك الأصابع لم أجد أى مخرجًا من تلك المشاكل غير ذلك الشىء الذى يبعث فى نفسى الطمأنينة والهدوء وينسينى الآلام والجراح فكانت أول مرة أحمل القلم عنوة وأخط به خطوطًا ليس لها أساس من الصور واللوحات .. لكننى أدركت أننى لا أرسم بل أفرغ طاقتى المتبقية بعد يوم عمل شاق فى إحدى الأوراق الملقاة أمامى وأعتصر عقلى وقلبى معًا لكى أخرج ما يمكننى من تجاوز لقاء الأم التى لا تعرف إلا المال والمستقبل الجاهز ولا أحمل أيًا منهما على الإطلاق حتى الآن.

ظللت هكذا قرابة النصف ساعة دون فائدة تذكر حتى أنهكنى عقلى حينها أدركت إننى لن أستطيع التفكير بجدية وبتركيز أعلى إلا حينما أنام لكى أستعيد قواى العقلية التى بددها العمل بعدها استسلمت إلى النوم تاركًا ورائى أحلامًا لا تحصى وآمالًا لم تحقق.

وفى الصباح.., استقليت سيارة أجرة إلى العمل تتأخر خطواتى التى كانت بالأمس تتسابق من أجل العمل أما الآن فتتحسر قدماى على ما تسعى إليه دون فائدة بعدما شعرت بهدفى يشق طريقه نحو الهلاك.

حينها وصلت إلى العمل وطردت بذور الشك والحيرة من داخلى وأودعت أوزار نفسى فى غيابات العمل حتى يهدينى الله إلى الصواب .. فاستمريت فى عملى اليومى الروتينى المعتاد بالطبع شعرت بشىء من الملل تجاه ذلك العمل المتكرر لكن زادت من حدته عندما باتت حبيبتى أبعد منَى أكثروأكثر، ولن يحقق لى العمل شيئًا إلا فى المستقبل بعدما أقطع شوطًا طويلًا من العمل الجاد والصبروالإخلاص والالتزام.

استمر العمل بروتينية بلهاء حتى انتهى يومى .. بعدها عدت إلى غرفتى فى فتورٍ تام وقد غابت عنى كل مظاهر الرضا بذلك العمل عندما اختفت من أمام عينى أهدافى المؤجلة.

استلقيت على الفراش فى خضوع وخضع عقلى أيضًا للعديد من التساؤلات المستقبلية التى لم أجد لها إجاباتٍ إلا التأجيل للمستقبل البعيد .. لا شىء مُبشر على الإطلاق .. كيف سأجرى تلك المقابلة مع والدة حنان؟

وماذا أعددت لتلك المقابلة؟

هل عندى ما أملكه لكى أحظى بوعدٍ منها تجاه زواجى بها؟

وهل ستوافق على وضعى الحالى الذى لا أملك به أى شىء من مقومات الزواج؟!

استمرت الأسئلة فى مراودتى دون إجاباتٍ تُذكَر فالوضع معلوم بالنسبة لى كوضوح الشمس فى وضح النهار.. مبتدئ فى عملى ولم أدخر شيئًا حتى الآن.

مستأجر غرفة بسيطة لا تصلح إلا لعازب ومغترب.

أخطو خطواتى الأولى فى عالم البشرية العاملة والتى أحاول بها أن أكن مسؤولًا عن أُسرة وأولاد .. فمازال هناك الكثيروالكثير حيال ذلك فما العمل الآن؟!

وهل سيفاجئنى القدر بشىء غير معلومٍ بالنسبة لى؟!

أم أننى سأحظى بخيبة أمل فى ذلك كالتى التمستها فى كلام حنان؟!

فجأة قطع تفكيرى نغمة الهاتف النقال فنظرت إلى الشاشة فى عبوس فوجدت والدى يتصل ففتحت الهاتف فى لهفة وخجل .. لهفة على السؤال عنه وعن عائلتى

وخجل من أننى لم أهاتفهم طيلة تلك الفترة.. بالطبع لم يتوقعوا كل هذا الجفاء تجاههم وهم أصحاب الفضل الأول فيما أنا فيه الآن عندها فتحت الإسبيكر نظرًا لتكاسلى فى وضع الهاتف على أذنى عندها خرج صوتى المضطرب:

- بابا إزيك عامل إيه؟

- الحمد لله .. إنت عامل إيه يا ابنى؟

- تمام بخير.. إيه أخبار ماما وأختى كويسين؟

- بيسلموا عليك يا حبيبى .. المهم طمنى إيه أخبارك فى الشغل وبتاكل كويس ولا لأ؟

- الحمد لله ماشى الحال وباكل كويس ما تقلقش.

- وعمك عامل إيه كويس معاك؟

- أه الحمد لله .. هو بيساعدنى دايمًا وبيسلم عليك.

- هو جنبك؟!

- لأ .. بس هو قاللى لما أكلمك أسلمله عليك.

- فيه الخير.. ربنا يكرمه ويكرمك.

- ربنا يخليك يا بابا وما يحرمنيش أبدًا من دعواتك.

- خد ماما معاك أهى عايزه تتطمن عليك.

- أيوه يا حبيبى .. إزيك عامل إيه؟

- الحمد لله يا ماما .. إنتى إيه أخبارك.

- بخير يا ابنى وحشتنى أوى.

- وإنتى كمان يا أمى .. صحتك عاملة إيه؟

- الحمد لله يا حبيبى .. إنت مرتاح عندك .. يعنى بتتغطى كويس ومخلى بالك من نفسك.

- الحمد لله يا ماما.

فالتقط منها والدى الهاتف فى لهفة وقال:

- مش عايز فلوس يا باسم؟

- لأ يا بابا .. معايا لسه يقضينى أنا عايز دعواتكم معايا بس.

- ربنا ينويلك اللى فى بالك ويكرمك ويوفقك فى حياتك يا رب.

- ربنا يخليك ليا يا بابا إنت وماما .. هى ليلى فين؟!

- راحت مشوار مع صاحبتها يشتروا شوية حاجات .. هسلملك عليها أول ما تيجى.

- ياريت يا بابا .. خد بالك من نفسك ومن صحتك.

- إن شاء الله يا إبنى .. مش عايز حاجة؟

- عايز سلامتك يا بابا.

- الله يسلمك .. مع السلامة.

- مع السلامة.

حينها أغلقت الهاتف فى حزن ولوعة من الفراق بينى وبين عائلتى .. فلم أحتمل صوت نحيب والدتى التى تبكى كل يوم على فراق ذلك الشعور المرير لكل أم فارقت ابنها أو فارقها لأى سببٍ كان .. إحساس لا يوصف إلا بِشِقّ الأنفس كالبحر الذى انتزعت منه الملح والسماء التى لا يفارقها السحاب والأرض التى لا يفارقها التراب .. وقتما يفترقوا .. إن افترقوا سيعودون قطعًا إلى موضعهم الأول الذى قَدَّرَ الله لهم أن يكونوا عليه.

عندها سمعت طرقات الباب فسارعت بمسح دموعى حتى لا يرانى أحد فى حسرتى وبكائى ثم فتحت الباب فإذا بعمى يزورنى فدعوته للدخول وذهبت أُعد له قهوته المفضلة وحين عدت وجدته ينظر إلى لوحاتى كثيرًا وهو ينفس دخان سجائره ثم قال:

- عامل إيه يا باسم كويس؟

- الحمد لله يا عمى .. إيه أخبارك وأخبار الأولاد؟

- الحمد لله يا باسم .. عامل إيه فى الشغل؟

- الحمد لله .. ماشى الحال.

- رسمك جميل أوى يا باسم.

- ربنا يخليك .. متشكر.

- ما فكرتش تستخدم موهبتك فى الرسم دى فى حاجة تجيبلك فلوس؟

- والله يا عمى ما فكرتش عشان فنى ما يتقارنش بالفلوس.

- طول عمرك طالع لابوك.

فنظرت له بامتعاض ثم قلت:

- وماله بابا؟!

- مفيش .. بيحب الفن ومش عايز يهينه بالفلوس .. وعايز يحسسنى إن الفلوس بتهين الفن.

- ده فى حالتين يا عمى لو قارنته بالفلوس أو إتحطوا مع بعض فى ميزان واحد.

- مش قولتلك طالع لابوك .. على العموم أنا كنت عايزك تشوف حد يشترى لوحاتك أو تعمل معرض ليك عشان تكسب من وراه وتحسن مستواك ودخلك عشان مستقبلك.

- هو المعرض ممكن .. لكن مفيش حد ممكن يعملهولى أو حد مؤمن بقدراتى.

- ما تقلقش من الناحية دى .. إتطمن بس فكر إنت وأنا هساعدك. فتهللت أساريرى من ما سمعت وقلت باهتمام:

- بجد .. يعنى ممكن أعرف أعمل معرض؟!

فارتشف آخر رشفة من فنجان القهوة ثم أعقبها آخر أنفاس سيجارته واستطرد قائلًا:

- بس فكر وقولى ردك بعدين.

عندها قررت أن أملك وقتى للتفكير فى الأمر جديًا حتى لا يصيبنى أى أذى من جراء تسرعى فى ذلك .. ثم قلت:

- هبلغك أول ما أوصل لقرار.

- وأنا هستناك ماشى.

- ماشى.

- هسيبك أنا دلوقتى عشان أستريح شوية عشان لسه جاى من الشغل تعبان.

- ألف سلامة .. مفيش مشكلة.

- الله يسلمك .. عايز حاجة؟

- سلامتك.

- تصبح على خير.

- وإنت من أهله.

***

obeikan.com

(11)

فخرج عمى من الغرفه عندها خالجنى شعور جميل وممتع جراء فكرة المعرض هذه إنه شىء إيجابى يلوح فى الأفق بعدما تشابكت سحب الغيوم فى سمائى وأعتمت حياتى ومستقبلى .. فهى لن تكون شهرة ومال لى فقط بل ستساعدنى أيضًا فى طريقى إلى حنان الذى بات مهددًا بالفشل .. نظرًا لطلبات والدتها التى لا تعد ولا تحصى.

لم يكن ذلك بالشىء الهين الذى أتخذ فيه القرار.. لكن الضرورة تبيح الموافقة على ذلك العمل حتى وإن مالت نفسى لغيرذلك أولم أتقبل عمى الذى يحمل دائمًا شيئًا غريبًا عن عائلتنا هو حبه الشديد للمال .. فهو لا يتعامل مع المال كوسيلة للعيش لكنه يتعامل معه كمحبوب يجب أن يتبع .. أو أن فراقه له عدة دقائق يكشف ظهره ويجعله كالشحاذ الذى يشتاق للمال حتى يرضى جوعه .. بالطبع لا ألوم عليه نظرًا لمسؤوليته عن زوجة وأولاد يحتاجون كل يوم ما يكفى وأكثر لسبل الحياة من مأكل وملبس ومسكن وأيضًا مكملات كثيرة .. لكننى ألوم عليه شغفه به الذى قام بتحويله من ساعٍ للمال حتى يغطى مطالب بيته إلى شخصٍ نَهِمٍ بجمع المال جاعلًا إياه همه الوحيد .. وتفكيره المسيطرعليه منه.

أخذ عقلى يتأرجح كالبندول يمينًا ويسارًا لا أعرف فيمَ أفكر.. أفكرفى حنان وما سألاقيه من تحديات فى مستقبلنا؟

أفكرفى أسرتى التى فارقتها من أجل لقمة العيش؟

أفكرفى عمى الذى أضاف على كاهلى مشقة التفكيرفى أمرمحبب كثيرًا إلى قلبى؟

أخذ عقلى يترنح بين هذا وذاك حتى قررت أن أخرج من تفكيرى الحائر إلى معشوقى (الرسم) إنها لحظة السعادة المتبقية لى وسط ذلك الزحام المفعم بالأفكار المتراكمة على عاتقى .. كم أشتاق إليها كفاكهة تأتى من بين الأشجار أو كالزهور بين الأشواك أو كحبة الكرز وسط الحدائق تحلى أيامى وتشغل أحلامى وتبعث النشوة داخلى يفصلنى أوقات كثيرة عن الواقع الذى يتمرر لحظات ويحلو لحظة.

أبحر به فى عالم الخيال القرمزى إلى أن أرسو فى عالم السعادة الذى ألاقى فيه الأحبة دون الكُرَاه .. المقربون دون الغرباء .. الأصدقاء دون الأعداء حتى أعود بعدها من رحلة مليئة بالسعادة والأمل إلى واقع لا يعلمه إلا الله لكننى وفى تلك الحالة قررت أن أخوض الرحلة وأستمتع بها دون النظر إلى الواقع إلا عندما أنتهى منها لعل وعسى أن أجد فى رحلتى مع عالم الخيال ما يهون علىَ غيابات الواقع وتحركات المستقبل البعيد.

أشرقت شمس يوم الجمعة..

أفضل يوم أشرقت فيه الشمس..

استيقظت على صوت مذياع الجيران المحدد على إذاعة القرآن الكريم فهى خير ما تسمعه يوم الجمعة .. تبعث فى نفسى الأمل والحياة من جديد وتحمل لى وقتها نسائم الإيمان من كل أركان الدنيا.

ذهبت إلى الحمام كى أُعد نفسى لصلاة الجمعة بعدما تأخرت فى الاستيقاظ نتيجة سهر الليلة التى أرهقت أوصالى وشتتت عقلى .. وأثناء الإعداد للصلاة اجتاحت عقلى بعض الأفكار التى لم تتركنى حتى الآن .. تصول وتجول داخل ذهنى وتؤرقه من حينٍ إلى آخر حتى باتت زائرًا غير مرغوب فيه.

حينها قررت طردها وبقوة .. فذلك الوقت لا يصلح للتفكير فى أى شىء آخر غير العبادة انطلق بعدها بقليل أذان الجمعة .. حينها انتابتنى رعشة قوية عندما تذكرت أفضال ذلك اليوم والأحباب الذين كانوا يزوروننا دائمًا فى الإسكندرية فى ذلك اليوم.

ثمة أشياء لم تعد تأتى .. وغيرها لم يحضر .. ولم يتبقى لنا غير الحاضر الذى نعيشه, ونحمل أنفسنا على خوضه بعدًا عن الماضى الجميل.

عندها خرجت متجهًا إلى المسجد وبقلب مؤمن استمعت إلى خطبة الجمعة ثم عدت بعد انتهاء الصلاة إلى غرفتى المتواضعة .. فارتميت على فراشى ثم عاودنى التفكير فى أمر حنان مرة أخرى .. حينها قطع تفكيرى صوت الهاتف فالتقطته .. كأن حنان تجلس داخل ذهنى وتقرأ أفكارى لتتصل بى لتخبرنى بها:

- ألو .. فينك يا باسم .. ما بتتصلش ليه؟!

- معلش يا حبيبتى .. أنا بس بفكر إزاى نحل المشكلة اللى إحنا واقعين فيها وكمان مستنى تحدديلى ميعاد مع والدتك عشان أتكلم معاها فى موضوعنا.

- والله .. يعنى إنت قاعد تفكر لسه .. وما وصلتش لحل.

- لسه .. هعمل إيه يعنى .. الموضوع مش سهل.

- طيب عايزاك تقابلنى ضرورى بعد ساعة .. ماشى؟

- أقابلك فين وليه؟!

- فى مكاننا المعتاد وليه هتعرفها لما تيجى .. يللا ما تضيعش وقت دى حاجة مهمة.

- حاضر يا حبيبتى .. هكون موجود قبل الميعاد.

- باى.

- باى.

أخذ عقلى فى الترنح يمينًا ويسارًا بعدما أغلقت هاتفى فى تعجب .. لماذا طلبت مقابلتى دون ترتيب .. هل هى رغبة فى ذلك أم هناك ما تريد أن تكمل به عبئًا على كاهلى إنه ذلك الوسواس الذى يدور برأسى والذى أرهقنى كثيرًا حتى تمكن منى .. يزورنى كثيرًا حينما يأتينى المجهول فى صورته الضاحكة لكى يخبرنى بأننى لن أتمكن من معرفته إلا إذا سِرت فى طريقى دون رجوع.

ارتديت ملابسى وأعددت نفسى وغادرت حتى ألحق بالموعد المحدد وبعد فترة وفى الطريق رن جرس الهاتف فالتقطته فإذا بحنان تتصل مرة أخرى:

- إنت فين يا باسم .. أنا وصلت.

- أنا فى الطريق أهو.

- لسه فى الطريق؟!

- هعمل إيه الطريق زحمة ومش عارف أوصل لحد دلوقتى.

- طيب أنا مستنياك ما تتأخرش

- مسافة السكة.

- باى.

- باى.

وبعد عدة دقائق وصلت الحديقة ودلفنا سويًا والقلق يزعجنى مما أجهله أتوق لأن أعرف ما يدور فى نفسها تريد أن تبوح به لى.

وبعد دقائق من السير المتواصل .. جلسنا على إحدى الأرائك القابعة على جانب الحديقة ثم بدأت حنان بالكلام:

- أنا عندى ليك خبرين حلو ووحش .. أبدأ بإيه؟

- ابدأى بالوحش طبعًا .. خلينا نحلى بالحلو.

- طيب .. ماما موافقة خلاص على العريس اللى إتقدملى.

- والله .. ببساطة كده؟!

- أه.

- والخبر الحلو طبعًا إنها مش موافقة عليا.

- إيه ده يا ظريف .. سيبنى أكمل كلامى بجد.

- قولى !

- الخبر الحلو .. إنها هتقابلك قبل ما توافق موافقة نهائية.

- وإيه لازمته بقى ده .. وإنتى بتقولى إنها موافقة على العريس.

- عشان تقارن بينكم .. لكن أنا أقنعتها إنها تقابلك بطلوع الروح وأهى فرصة عشان نحاول نقنعها بموضوعنا.

- بصراحة الموضوع ده يقلق بجد.

فشعرت حنان بأنى أحاول إظهار الحجج وعدم المجيء وقالت:

- إنت بتحبنى ولا لأ؟!

- طبعًا .. ودى عايزة كلام.

- طيب .. يبقى تيجى تطلبنى وتحاول تعمل حاجة عشان نبقى مع بعض.

- أنا عملت كتير وبحاول أعمل لكن أنا فى نظر والدتك ولا حاجة بالنسبة للراجل التانى .. هو جاهز وكله تمام .. لكن أنا لسه مش جاهز حتى الشقة مش عندى .. يعنى أكيد هترفض .. المقارنة كده غير عادلة.

- يا باسم إرحمنى .. ده أنا أقنعتها بالعافية تيجى إنت تقولى الكلام ده دلوقتى؟!

- أعمل إيه ما إنتى شايفة الوضع اللى أنا فيه.

- معلش بس حاول تفكر وتشوف حل.

- ربنا يسهل.

- وحشتينى.

فأمسكت يدها بحنان وقبلتها على ظهرها ونظرت إلى عينيها مكملًا:

- إن شاء الله .. هعمل كل اللى هقدر عليه عشان أحاول أسعدك.

- ياريت يا حبيبى.

- ما تقلقيش .. طول ما أنا جنبك .. بحبك.

فنظرت إلى عينيها فوجدت مشاعرها تتأجج من فرط مسامع تلك الكلمة ثم نظرت إلى شفتيها فى توقع فقالت:

- بحبك أوى.

فذابت مشاعرى من نغمة تلك الكلمة .. التى بُعثت من بين شفتيها الرقيقتين حتى اخترقت قلبى بسهم من سهام الحب الضارية والتى تصيب أصعب أهدافها بكل سهولة وقوة .. فأخذت أتأملها كثيرًا .. إنها حبيبتى التى سأفعل أكثر ما فى وسعى حتى أحظى بحبها .. فهى تستحق أكثر من ما سأفعله أو يحملنى القدر على فعله.

دعونى أصف تلك اللحظة عندما قالت لى: بحبك تلك الكلمة التى توقفت عنها دقات ساعات العالم أجمع .. لتبعث مكانها أجمل ترانيم الطيور وقلبى الذى اهتزت أركانه عندما شعر بسهامها المخترقة تنال منه فى حنان ورِقة كأنه نسيم البحر فى الغسق.

***

obeikan.com

(12)

فلاش باك,,,

عندما قالتها .. تحرك قلبى من بين ضلوعى .. لقد رأيت مالم أره من قبل عينيها الجميلتين اللائى يحملن أسمى معانى الحب والحنان وتبعث سهام الحب إلى عينى التى استسلمت فى خضوع .. تأرجح حروف الكلمة عندما تنطقها برقة ككمان يعزف دون قيود أو إيقاع محدد,,

الباء: لها نغمة منفردة وتردد من بين شفتيها يجعلك تنتظر ما سيتبعها من حروف.

الحاء: نغمة أخرى تنم عن كلمة تذيب قلبك وتضعك فى حيرة من الأمروالترقب.

الباء التالية: تجعلك تخمن ماهية الكلمة الأخرى والتى تتبعها وتشعرك بالسعادة القادمة.

الكاف: مطلب كل عاشق وكل هائم .. تبعث إليك برقية تهنئة لما ظفربه من قلب امتزج فيه قلبها بقلبك وعينيها بعينك.

إنها حقيقة ولوعة الحب وسر من أسرار العشق .. تعلن الأفراح داخل نفسك من فرط السعادة الزائدة التى ستلاقيها حينها.

تلك لحظة من لحظات السعادة التى عاشت وافترقت من أجلها أناسٌ وأناس فهل من الممكن أن تظل لحظات من يحب على هذا المنوال أم أن القدرله رأى آخر فى ذلك الأمر.

عندها قاطعتنى حنان:

- مالك يا حبيبى .. فيه حاجة؟!

- هه .. لأ بس كنت بفكر هعمل إيه مع موضوع ماما ده .. لكن ربنا يسهل.

فابتسمت لها كثيرًا ثم قالت:

- ربنا يخليك ليا يا حبيبى وما يحرمنيش من حبك العمر كله.

- يااااه من أجمل الدعوات اللى جتلى فى الدنيا.

تأججت المشاعر وقتها ولم أنبس ببنت شفة حتى تطرقت لِضَمِّهَا تجاهى لكننى أدركت أن نتيجة فعلتى هذه هى إما أن أنال ضربًا مبرحًا من زائرين الحديقة جميعًا .. وإما أن تقوم حنان بذلك فأخزيت وساوس الشيطان وقلت لها:

- يلا بينا نتمشى شوية عشان أنا عارف نفسى .. لو فضلنا قاعدين كده الله أعلم هيحصل إيه بعد كده.

- هيحصل إيه يعنى إيه؟!

- لأ .. ما تخديش فى بالك .. اللهم إخزيك يا شيطان.

ففهمت حنان كلامى فانتفض جسدها من جلستها وضربتنى ضربة قوية فى كتفى جعلتنى أبتسم وابتسمت هى الأخرى حتى التقطت يدها بعد تردد وذهبنا سويًا لقضاء يومٍ جميلٍ من أجمل أيام العمر.

وفى المنزل,,,

عدت من الحديقة منتشيًا بذلك اللقاء المحبب بالنسبة لى .. حيث غرفتى المحببة أيضًا إلى قلبى .. لكن لم تقبع نشوتى كثيرًا نظرًا للتحدى المقبل عليه.

حينها قررت الصعود إلى عمى لإخباره بقرارى تجاه عرضه .. طرقت الباب فإذا بزوجة عمى تفتحه وتدعونى للدخول .. فدخلت فى استحياء فوجدت عمى يجلس أمام التلفاز وما أن اقتربت منه حتى أغلق صوت التلفاز ثم قال :

- أقعد يا باسم .. إعملولنا شاى.

- مالوش لازمة يا عمى أنا كنت عايز بس..

- مفيش كلام قبل الشاى .. ده إنت فى بيتك.

- متشكر يا عمى.

عندها أشعل عمى سيجارته المعهودة وأخذ ينفث دخانها بشراهة وفى لحظات خرج علينا الشاى المعهود فى حياة تلك العائلة .. فقدمته زوجة عمى لنا فى فخر ج ثم عادت من حيث أتت بعدها ارتشفت رشفات متتابعة من الكوب الخاص بى قبل أن أقول:

- أنا أسف يا عمى إنى جيت فى وقت متأخر النهارده .. عشان عايزك فى موضوع مهم.

- ما تقولش كده .. ده بيتك وتيجى فى أى وقت.

- متشكر يا عمى.

- خير يا باسم؟

- فاكر يا عمى .. أما قولتلى إمبارح على فكرة المعرض.

ففكر عمى مليًا كأن عقله قد صدأ بين يوم وليلة ولم يتذكر شيئًا وبعد دقائق قال:

- فعلًا .. أنا قولت كده .. إيه حددت قرارك ولا إيه؟

- أيوه يا عمى وأنا موافق.

- جميل .. أهو إنت كده إبتديت تفكر بشكل عملى .. مش زى أبوك.

فنظرت له بضيق نظرًا لوالدى الذى يضعه بين حديثنا دون تمييز أو أن يذكره فى شىء هام فتمالكت أعصابى ثم قلت:

- على العموم .. أنا موافق.

- خلاص .. أنا هشوف الموضوع وهبقى أبلغك بالتفاصيل.

- إنت لسه هتشوف يا عمى؟!

- طيب خلاص أنا هعملك المعرض الصبح وهجيب الناس بكره وما تشيلش هم.

فنظرت له باستخفاف ثم قلت:

- إنت بتهزر يا عمى؟!

- لأ بتكلم جد .. طبعًا بهزر هو المعرض ده بالساهل يا ابنى .. ده عايز ترتيبات كتير أوى مكان ومطبوعات وإضاءة وديكور وزوار وغيرها حاجات كتير.. ثم إن فيه حاجة مين هيتكلف كل ده؟

- مين؟!

- لما ألاقى حد هقولك .. بس المهم تستنى شوية.

فنظرت له بخيبة ثم قلت:

- هو مفيش حل نحاول نسرع بيه الموضوع شوية؟!

- ليه؟!

- عشان مزنوق فى فلوس.

- إنت مش غريب عايز كام قول؟

- مش عايز حاجة ليا .. أنا عايز أكون نفسى ومستقبلى.

- وإيه وجه الإستعجال ما إنت بتشتغل والحمد لله عايز إيه تانى؟!

- عايز أتجوز.

- تتجوز؟!

- أه .. إيه المشكلة؟!

- جميل .. بس الجواز مسؤولية ومصاريف وتحس إنك تقدر تفتح بيت وتكون مسؤول عنه وكده .. ومتهيألى إنك لسه قدامك وقت عشان الموضوع ده.

- معلش .. أنا طالب مساعدتك يا عمى عشان أظبط أمورى .. ياريت تساعدنى.

- ما تقلقش يا باسم .. أنا هعمل اللى عليا والباقى على الله.

obeikan.com

- ربنا يخليك ليا يا عمى .. أشكرك .. هستأذن أنا بقى.

- على فين يا باسم .. ده إنت لسه ما شربتش الشاى.

- معلش مرة تانية .. عشان عندى شغل الصبح.

- ربنا يوفقك .. تصبح على خير.

- وإنت من أهله.

فخرجت فرحًا قليلًا .. أنتظر إجابة عمى على ذلك الموضوع الهام الذى سيشكل لى مخرجًا من ضائقتى .. ويساهم فى صناعة مستقبلى بشكل كبير,, واتجهت إلى غرفتى المتواضعة .. فبدلت ملابسى استعدادًا للنوم .. بالطبع أحمل فى خلجات نفسى الكثيروالكثير.. خوفًا من المجهول يتملكنى خاصة وأنا لا أملك شيئًا لمواجهته .. لكن إيمانى بالله ومجهودى هو ما أملكه حتى الآن.

مرت الأيام .. يومًا بعد الآخر فى عمل روتينى متتابع .. يبعث على الملل حتى جاء يوم لقائى مع والدة حنان .. لم يكن الأمر هينًا حينها .. لأننى لا أملك وقتها أى مقومات تسمح بتلك المقابلة .. لكننى كنت مجبر على خوض تلك المقابلة نظرًا لمحاولة والدتها تزويجها بشخص آخر .. لكنه بالطبع سيكون يومًا من أصعب الأيام التى ستمر فى حياتى .. وأكثرها قسوة.

فى منزل تقليدى غير ترف,,

دخلت فى خجل بعدما فتحت لى شقيقة حنان الصغيرة وأسرعت إلى الداخل وتركتنى دون أن أجد من يستقبلنى حينها شعرت بأننى شخص غير مرغوب فيه لكن بعد قليل خرجت علَىَّ والدة حنان وصافحتنى فى وجوم وأجلستنى ثم عرضت علىّ البونبونيرة لكى أحصل منها على قطعة من البونبون لكننى رفضت ترفعًا فى ذلك الموقف الذى لا أحسد عليه .. فأسندت ظهرها إلى أحد المقاعد ثم بدأت فى الحديث:

- حنان قالتلى إنك زميلها فى الجامعة.

فنظرت لها بخجل مصطنع:

- ده صحيح .. حضرتك أنا زميلها من أيام الجامعة .. من إسكندرية بس عايش هنا فى بيت عمى عشان بشتغل وأهلى فى إسكندرية.

- وقاعد هنا لوحدك؟!

- أكيد عشان بشتغل.

- وبتشتغل إيه؟

- مصمم فى مطبعه كبيرة ومشهورة.

- ومرتبك قد إيه؟

- والله هو كويس عشان أنا لسه متعين ما كملتش شهر.. لكن أكيد إن شاء الله هيزيد.

- عندك شقة؟

- لأ حضرتك .. بس هجيب أكيد.

- طيب إنت عايش فين دلوقتى مع عمك.

- عايش فى إيجار جديد على قدى تحت عمى على بال ما أشترى شقة.

- ومعاك فلوس على كده بقى.

- حضرتك أنا لسه متخرج وبشتغل.

- طيب معاك إيه .. عشان نتكلم فيه؟

- حضرتك أنا بشتغل وأبويا معودنى من زمان إن أنا أعتمد على نفسى وعارف يعنى إيه مسؤولية بيت وجواز بس أمورى لسه مش مستقرة بس بتمنى حضرتك تلبى طلبى.

- اللى هو إيه؟

- إن حضرتك توافقى على الخطوبة بس .. وأنا أوعد حضرتك إنى أحاول إنى أوضب أمورى وأجهز كل حاجة قبل الفرح وكمان هأجيبلها كل اللى نفسها فيه.

obeikan.com

- وهاتجيب منين اللى تطلبه؟!

- هأعمل المستحيل عشان أوفى بوعدى مع حضرتك.

- يعنى هتجيب منين برضه؟

- أنا رسام .. وكمان عندى لوحات كتير هأساعد نفسى بالرسم جنب شغلى وربنا يسهل.

- والله .. هاتصرف من الرسم .. إيه الرسم ده عشان يجيب فلوس .. ده على أساس إن اللى بيشتروا اللوح دول منك مليونيرات.

- اللوح!!!

- آه .. مالها مش عاجبك كلامى؟

- لأ حضرتك .. بس أنا كنت عايز أوضح إنى هأقدر أكون نفسى وعندى المقومات اللى تخلينى أكون نفسى ومستقبلى بس محتاج وقت.

- وقت قد إيه؟!

- ربنا يسهل.

- شوف أنا هقولك الخلاصة .. أنا فيه واحد تانى إتقدم قبلك وجاهز وأنا قِبلته فالموضوع خلاص منتهى وأنا حبيت أقابلك بس عشان بنتى مش عشانك ولو إنت مكانى كنت هتختار الجاهز ولا اللى...

- بس حضرتك.....

- جاوبنى بس؟

. - الجاهز

- شرفت.

فقمت من مجلسى ألملم ما تبقى لى من كرامة فى ذلك الوقت المرير .. أجرجر أذيال الخيبة والانكسار تاركًا ذلك البيت المشؤوم .. وأثناء خروجى وجدت حنان تشاهدنى فى ذلك الموقف الصعب وعيونها تدمع وعينى وقلبى فى نزيف مستمر لا يهدأ لقد ضاع الحلم .. فضاعت الحياة.

لقد كتبت تلك السيدة بيديها نهاية حب بائس كتب عليه الموت قبل أن يحيا وخطت بيدها طريقًا شائكًا لى لكى يمزقنى جراء فعلتى الحمقاء عندما تقدمت لها.. كم أنا أحمق.

كيف لى أن أتقدم لمن أحبها كى أطلبها للزواج دون أن يكون معى أموال؟

وكيف لى أن أدخل بيتها أيضًا وأطلب ذلك من والدتها وأنا لا أملك شقة؟

ولماذا أحببت من الأساس وأنا لا أملك شيئًا وقتها؟

***

obeikan.com

(13)

إنه ليس ذنبى بطبيعة الحال .. لكنه ذنب قلبى الذى شأنه شأن كل القلوب يحب ويعشق دون مقومات مادية .. ليتها كانت تعلم ذلك حتى تدرك أننى فعلت ذلك من أجل الحب.

وبعد اللقاء,,,

شققت طريقى إلى المنزل أحمل على عاتقى آثار الخيبة والانكسار.. أتألم فى كل خطوة أخطوها بعيدًا عن منزل حنان التى لم أشعر إطلاقًا إننى سأُرفَض من أجل المادة ما أتذكره فى الماضى أن الرفض كان من نصيب من هم أقل خلقًا أو أقل علمًا أو مقامًا ونسبًا لكن تغير الوقت وأصبحت الماده تسيطر على ما تبقى من حب إذا وجدت الماده وجد الزواج وإن لم توجد كأن الحب ما كان قائمًا.

مر اليوم مرور اللئام فلم يحالفنى الحظ بابتسامة قط,, فأخذت أرسم فى غرفتى حتى أذن أذان الفجر فصليت ثم ارتديت ملابسى فى موعدى المحدد وذهبت إلى العمل بالطبع لم أنم من فرط التفكير فى الأمر وظللت أشكو همى إلى الله.

ذهبت إلى عملى تسيطر علىَّ فكرة واحدة فقط .. لم أكن أتوقعها حتى فى أصعب الأمور هى ملاذى القادم..

لكننى من أجلها فعلت الكثير..

لكن الإحباط يدمى القلوب.

لقد قررت أن أستقيل من العمل..

نعم سأستقيل.

وكثيرًا سيحاولون إرغامى على عدم الاستقالة لكننى سأصر عليها.

لقد تركتنى التى كنت أعمل من أجلها .. وأتحمل كثيرًا من أجل نيل حبها وبقاءها جانبى فلماذا أستمر فى العمل؟!

ومن أجل من؟! ولماذا؟!

بالطبع سأفعل .. حينها شعرت بأنى كالمهرج بلا جمهور أو كالطبيب بلا مرضى.

فلماذا العمل إذن؟!

كان قرارًا مريرًا لم أقدر على نسيانه .. لكن نفسى أبت أن أستمر فى ذلك العمل دون دافع حقيقى وراء عملى .. وبتركه تحطمت كل آمالى وأحلامى ولم يبق لى سوى الله وعائلتى وموهبتى التى باتت بلا فائدة .. من أجل الحب.

عدت إلى المنزل بعد تقديم استقالتى وبعد عناء وإصرار من قِبَلِى تم قبول الاستقالة من المدير الذى تعجب كثيرًا من ذلك الطلب لأننى لم أعمل سوى بضعة أيام معهم لكنه خضع لرغبتى بعد عناء ومماطلة مملة .. لم أشعر بقدماى من فرط الإرهاق والذى أَلَمَّ بى .. حينها شعرت ببعض الراحة من العمل لكن خاطرى لم يذق طعم الراحة على الإطلاق كان عقلى شاردًا لا يصدق ما حدث لكن الواقع يفرض نفسه دائمًا .. حينها رن جرس الهاتف بعنف قاطعًا كل الأفكار مردداً على شاشته اسم حنان .. ذلك الاسم الذى حينما أراه على شاشة الهاتف يتراقص قلبى من شدة الفرح لكننى الآن فى قمة الحزن والأسى.

بماذا يفيد هاتفها الآن؟!

هل ستقول شيئًا يطمأننى أم ستؤنبنى على عدم جاهزيتى للزواج؟

بالطبع أنهكت الأسئلة عقلى حتى أجبت متلهفًا لسماع صوتها ولو لمرة أخرى.

فالتقطت الهاتف فى تردد قبل أن أقول بصوت مجروح:

- ألو .. حنان.

- ألو .. أيوه يا باسم.

حينها شعرت بالكلمات تنازع من أجل الخروج من حلقها .. ومرارة ليلة الأمس كانت بالنسبة لنا أشبه بالحداد .. لكننى لم أتمكن من حبس دمعة سلكت طريقها على وجنتى ودموع حنان تفضحها هى الأخرى .. فحاولت الاطمئنان عليها

- حنان .. إنتى معايا؟!

- أيوه يا حبيبى .. أنا معاك.

- كفاية دموع يا حنان .. أنا ما أقدرش أستحمل أكتر من كده.

- غصب عنى والله .. مش عارفه أعمل إيه .. قعدت أتخانق أنا وماما عشان موضوعنا وهى مصممة على الرفض.

- أنا عارف إنها هترفضنى عشان إمكانياتى .. كل الناس بتحاول توفر أكبر قدر من الإمكانيات عشان تجوز ولادها وده حق الناس كلها وأنا مقدر ده بس المفروض كمان يعملوا حساب للحب إنه أهم من الإمكانيات .. ولو إتوفر الحب مع قليل من الإمكانيات الجواز بيكون أحسن.

- وما قولتش الكلام ده لماما ليه؟!

- قولت أكثر منه لكن والدتك عايزة واحد غنى عشان يسعدك .. ده مفهوم السعادة عندها مقياسه الفلوس.

- أنا كنت بكلمك عشان احتمال دي آخر مرة نتكلم فيها.

- ليه إيه اللى حصل؟!

- اللى كان طلبنى للجواز كلم ماما إمبارح عشان ييجى يقابلها النهارده ويتكلموا فى تفاصيل الجواز.

- إنتى بتقولى إيه؟!

- زى ما سمعت .. ماما موافقة عليه وغاصبانى أتجوزه وانا مش بإيدى حاجة.

- شكلك كده موافقة إنتى كمان؟

فصمتت حنان قليلًا محاولة تجاهل كلماتى الجارحة والتى أشعرتنى بالخجل ثم قالت:

- إنت فاكر إن ماما أصلًا قابلتك بعد أما إتحايلت عليها وهى كانت مقتنعة بالراجل ده ووافقت تقابلك بس عشان خاطر ترضينى.

- فاكر يا حبيبتى .. فاكر.

- على العموم أنا حبيت أكلمك عشان أشوف حل للمشكلة اللى إحنا فيها دى.

- بصراحه مش عارف نعمل إيه .. الحلول أنا طرحتها لوالدتك وهى مش موافقة على أى حل منهم.

- يعنى إيه الحل هنفضل ساكتين؟!

- أنا عاوز أقولك على حاجة.

- قول.

- أنا سيبت الشغل.

فتعجبت حنان مما قلت باندهاش وهى تقول:

- بتقول إيه؟!

- استقلت من الشغل.

- إنت مجنون؟!

فحاولت أن أتمالك أعصابى من ما قالته فهى صدمة أخرى ثم قلت:

- لقيت مفيش فايدة من الشغل بعد ما إترفضت فسيبت الشغل .. عشان مش هو الشغل اللى بحبه وقبلت بيه بس عشان خاطرك.

- حتى الحاجة الوحيدة اللى كانت عاملالك قيمة سيبتها.

حاولت أن أتناسى ما قالت مرة أخرى لكننى لم أحتمل هذه المرة:

- بدل ما تقطمينى شوفى إيه السبب فى كده .. والدتك هى اللى حالى مش عاجبها.

obeikan.com

- مالكش دعوة بماما.

- ما هى السبب.

- ماهو إنت لو كنت جاهز تمام .. كانت وافقت عليك.

- حتى لو كنت مش جاهز فيه فترة خطوبة أقدر أحسن وضعى فيها.

- أنا مش عارفه أعمل إيه .. أنا تعبت معاك .. ضيعتنى وضيعت شغلك.

- ما هو مفيش حلول عشان نتجوز إلا إنك تقنعى ماما إننا نتخطب وأحاول أحسن من أمورى وبعدها نتجوز.

- ماما مفيش فى دماغها إلا الجاهز ومش مقتنعه أصلًا بيك .. مفيش حل تانى؟

- لأ .. هو ده الحل الوحيد.

- ببساطة كده.

- ولو عايزانى إقنعى أمك.

- أنا بجد تعبت منك يا باسم .. وافتكر إنك عايز تضحى بيا.

- إنتى اللى ضحيتى بيا عشان عريسك الجاهز اللى فضلتيه عليَا.

- مفيش فايدة فيك .. أنا قولت اللى عندى وإنت حر .. العريس جاى النهارده وأنا مضطرة إنى أقعد معاه .. شغلك سيبته .. ومش جاهز بأى حاجة من أساسيات الجواز .. حتى أنا قاسى عليا .. يبقى إنت اللى اخترت وماتلومنيش على أى حاجة هتحصل.

وأغلقت حنان الهاتف بعدما أنهت كلامها فعبثت وجهى ووسعنى الضيق من تصرفاتها السلبية .. ماذا أفعل فى ذلك الموقف الصعب؟!

هل سأتركها تتزوج بغيرى وأنا أحبها وتحبنى؟!

فحاولت أن أعيد الاتصال بها مرارًا وتكرارًا لكننى وجدت هاتفها مغلقًا لعل كلامى معها لم يكن لائقًا ندمت من نفسى وأسفت لحالى الذى تدهور بسبب الحب ليتنى لم أحب.. أو أذق طعم الحب.

لو كانت الحياة بلا حب لما دامت الحياة..

لكن وجبت المادة معه ..

فإن لم يتواجدا سويًا لما دام الحب,, ولما دامت الحياة لكنها لن تبقى إلا وسيلة للاستمتاع بالحب.

حينها سمعت طرقًا على الباب .. ففتحت فوجدته عمى فأجلسته محاولًا رسم البسمة على وجهى قليلًا ثم قال:

- عامل إيه يا باسم .. كويس.

- الحمد لله .. إزاى الولاد كويسين.

- نحمدلله .. إيه أحوالك.

- زفت يا عمى.

بالطبع لم أجد أحدًا كى أفضفض معه وأنا فى تلك الحالة البائسة غيره هو فقال:

- خير فيه حاجة لا سمح الله؟!

- أنا سيبت الشغل يا عمى.

- ليه يا ابنى إيه السبب؟!

- مفيش شوية مشاكل فى الشغل كده.

- هو إنت لسه لحقت يا ابنى؟! .. ده إنت ما بقالكش حوالى يومين أو تلاتة.

- كل شغل وله مشاكله.

- ومتضايق عشان كده بس ولا فيه سبب تانى؟

- لأ يا عمى .. هى دى مشكلتى محتاج فلوس عشان أكون نفسى.

فضحك عمى وقال:

- ليه عندك عروسة ولا إيه؟!

- مش دى المسألة .. كل الحكاية إنى عايز أكوِّن مستقبلى عشان بعد كده أعيش حياتى مرتاح.

- أخيرًا بدأت تفكر بمنطق صح .. منطق الفلوس عشان تحقق ذاتك .. شوف يا باسم من حسن حظك إن عندنا وظيفة خالية فى الشركة .. لسه فاضية إمبارح بس هيا مالهاش علاقة بالرسم .. إيه رأيك أشوفهالك يمكن تنفعك.

- ياريت يا عمى .. أى شغلانة المهم يكون مرتبها حلو.

- من الناحية دى إتطمن .. مرتبات الشركة عالية بس حسب شغلك وما تقلقش أنا هبقى معاك ومتابعك .. قوم نام وارتاح دلوقتى وبكرة إن شاء الله هشوفهالك.

- متشكر جدًا.

- ولا يهمك يا حبيبى .. تصبح على خير.

- وإنت من أهله.

بعدها أسلمت نفسى للنوم دون عناء أو سهر.

مر اليوم،،

بحكم الفراق على قلبى .. بعدما أدركت أن كل ما كان بينى وبين حنان قد تاه فى ظلماته .. لقد انتهى حبى إكلينيكيًا تجاهها نتيجة نقود لا ترقى لمستوى الحب الذى لا يقايض بها فى يوم من الأيام .. أخذت أتذكر كل ما حدث بيننا من أيام الماضى وأفكر فى كل موقف نشأ بيننا وأيضًا آخرها محاولًا استيعاب السبب من الذى كان السبب فى فراقنا .. أنا أم القدر أم هى أو والدتها كل المواقف تشير إلى أن الحب لم يكن سلعة لتشترى عندما نشأ بيننا، لكن الفراق بات هو النهاية التعيسة لقلوب لم تتخذ لحبها إطارًا عائليًا حقيقة لم أرغب فى أن يظل رقم هاتف حنان على هاتفى الخاص بعدما أدركت منها أنها تحمل موافقة مبدئية على ذلك الرجل الذى تقدم لخطبتها أمم أقصد لشرائها .. هل يعرفها جيدًا حتى يتقدم لها؟!أم يحاول جاهدًا للحصول عليها بأى ثمن؟

***

(14)

وقليلًا من الأفكار تجعلنى أحتقر نفسى بعدما أضعت عملى ولم أحاول فعل شىء من أجلها وتبين مدى لا مبالاتى بأشياء هامة بالنسبة لى.

مَرَّ ذلك الصراع فى عقلى بعدما استيقظت من نومى مرور اللئام حتى أنهكه من فرط التفكير لم أستفد منه إلا بشيئين .. أولهم بأننى لا أستحق أن أحب قبل أن أعد أساسيات وماديات الزواج كاملة والثانى هو الاستقرار على العمل حينها تحمست لتلك القرارات وقررت أن أغادر غرفتى الضيقة لكى أخرج إلى فضاء الدنيا الواسع بحثًا عن العمل المناسب لكى تسير حياتى بشكل صحيح وبالإطار الذى أتمناه لها.

غادرت فى طريقى للبحث عن عمل وأخذت أبحث عنه يمينًا ويسارًا وفى شتى الاتجاهات .. لم أترك شبرًا حتى ولو لم أكن أعلم عنه شيئًا فبحثى عن ذلك العمل فاق التوقعات ولست أملك رفاهية الاختيار.

دخل الليل على الشوارع وأنا مازلت أبحث عن العمل .. بالطبع أثق قليلًا فى عمى أنه سيحاول جاهدًا مساعدتى للحصول على وظيفة .. لكننى لا أحب أن أترك شيئًا للظروف فقررت البحث حتى لا أعلق نفسى بآمال قد تهتك وتتساقط أمام عينى كسابق عهدها.

حينها قررت أن أعود للمنزل حتى أسترح قليلًا وقررت إكمال ذلك فى الصباح وبعد فترة طرق الباب بعنف وفى أعنف ما يكون فانتفضت من مكانى وأسرعت إلى الباب وفتحته فإذا بعمى يصيح:

- إنت فين يا ابنى؟!

- عمى؟!

فتنفست الصعداء وأزدردت لعابى بصعوبة بالغة ثم قلت:

- إيه اللى حصل؟ فيه حاجة؟!

- لأ مفيش .. أنا بس قعدت أخبط عليك لكن ما رديتش عليا فقلقت عليك .. إنت كويس؟!

- الحمد لله يا عمى .. أنا كنت بره بس ولسه راجع من شوية .. اتفضل.

- حمدلله على السلامه يا ابنى.

- الله يسلمك يا عمى.

فحاولت أن أغادر الغرفة فنادانى قائلًا:

- رايح فين يا باسم؟!

- هعملك القهوة اللى بتحبها.

- مالوش لزوم أنا جاى أقولك كلمتين وماشى.

- خير يا عمى.

- أنا عايز أبشرك بإن فيه واحد صاحبى اللى ماسك التعيينات كلمته عنك وعن الرسم ومهارتك فى التصميم وعايز يقابلك بكره عشان الموضوع ده.

فتهلل وجهى كثيرًا ثم قلت:

- يعنى كده إتعينت؟!

- تقريبًا آه .. لكن ناقص إنك تاخد ورقك كله معاك عشان المقابلة وكمان إنت عارف إن مفيش شغل من غير مقابلة.

- طبعًا يا عمى .. أشكرك قوى.

- العفو .. المهم المقابلة عشان تقنعه بيك حاول تعمل اللى عليك .. زى ما أنا عملت اللى عليا.

- تمام يا عمى .. لسه فيه حاجة ناقصة؟!

- فيه حاجة تانية هبقى أقولك عليها بس مش دلوقتى .. لكن المهم دلوقتى إنك تستلم شغلك إن شاء الله فى الشركة وبعدها هقولك.

- طيب ما تقولى دلوقتى يا عمى .. إنت كده قلقتنى.

- لأ ما تقلقش .. بس هقولك لما ييجى وقتها .. المهم تتعين بس دلوقتى.

- حاضر يا عمى ومتشكر أوى .. طيب هروح الساعة كام والعنوان فين.

فقام عمى من مجلسه متجهًا إلى مكتبى الخاص وسحب ورقة وقلم وكتب قليلًا ثم أعطانى الورقة ثم قال:

- هتروح لأستاذ عصام فى العنوان ده وتسأل عليه السكرتيرة وتقابله ومعاك الورق .. أنا أصلًا موصيه عليك بس الباقى عليك إنت وإن شاء الله يصدر قرار بتعيينك وأنا هتابعه معاك .. تمام.

- تمام.

فَهَمَّ عمى بالخروج فاستوقفته:

- طيب ما تقعد معايا شوية.

- معلش يا باسم محتاج ارتاح شوية .. عشان كان عندى النهاردة ضغط شغل وكمان ما نمتش من امبارح.

- زى ما تحب يا عمى وأشكرك مرة تانية.

- الشكر لله .. تصبح على خير.

- وإنت من أهله يا عمى.

فأغلقت خلفه الباب وارتميت على الفراش فى سعادة بالغة وأخذت أحمد الله على عنايته بى وأدركت أن العمل والحصول عليه وعلى ما يعادله من احتياجات لن يأتى إلا بالسعى والاجتهاد حتى وإن لم تستفد بشىء منه .. فيكفيك شرف المحاولة.

حينها أدركت أن الخطوة المطلوبة الآن هى أن أطلب حنان على الهاتف لأبشرها

بحصولى على وظيفة أخرى فى محاولة حتى لا تضيع منَى فالتقطت الهاتف واتصلت بها فأجابت علىَ وقالت:

- ألو.. أيوه يا باسم.

- ألو وحشتينى يا حنان.

- إنت عامل إيه؟

- بخير.. إيه مالك صوتك مش عاجبنى؟!

- لأ مفيش دا أنا بس عندى شوية برد .. المهم إنت إيه أخبارك؟!

- الحمد لله .. أنا عايز أبشرك بحاجة هتعجبك قوى.

- خير يا باسم؟!

- أنا بكره .. إن شاء الله هاستلم شغل فى الشركة اللى شغال فيها عمى وإن شاء الله هيكون معايا فلوس عشان نشوف حياتنا ونبنيها سوا.

- بجد يا باسم .. أهو ده أحلى خبر سمعته النهارده.

- ربنا يخليكى يا حبيبتى .. بس أنا كنت عايزك تحاولى تحدديلى ميعاد تانى مع ماما بس قُدَّام شويه عشان أكون فاتحت والدى فى موضوعنا عشان يساعدنى لحد الخطوبة وأبقى أتصرف أنا بعد كده.

فصمتت قليلًا قبل أن تقول:

- إن شاء الله .. بس إنت اشتغل الأول وربنا يسهل.

- إنتى عامله إيه.

- أنا بخير.. بس عندى شوية برد تاعبينّى أوى.

- ألف سلامة عليكى يا حبيبتى .. خدى دواء عشان يخف طيب.

- أنا باخد وربنا يسهل.

- طيب يا حبيبتى .. هبقى أكلمك لما أستلم الشغل أوك.

- ماشى يا حبيبى.

- مع السلامة.

- مع السلامة.

وهممت بإغلاق الهاتف لولا أن سمعت صوتًا انتزع قلبى من مكانه فقلت:

- حنان إيه الصوت ده؟!

- أيوه .. ده صوت فرح عندنا فى الشارع.

حاولت تصديق كلماتها لكننى سمعت منها صوت الأحزان ينبعث من بين شفتيها فقلت لها:

- فيه إيه يا حنان .. قوليلى ما تكدبيش عليا فيه إيه؟!

أزادت كلماتى أوجاع حنان حتى انفطرت فى البكاء وأسقطت دمعًا حارًا دمعة تلو الأخرى كدمعة ملاك أبت أن تخرجها حتى تظل البسمة ساكنة على وجهها حينها شعرت به يتسلل إلى قلبى كالسكين الحاد الذى يمزق الأشياء إربًا إربًا فتسلل القلق إلى نفسى وقلت:

- قوليلى يا حنان فيه إيه عشان أحاول أعدّل الأمور.

لم أتلق الإجابة إلا بعدها فقالت:

- أنا اتخطبت النهارده.

- إيه .. بتقولى إيه؟!!!!!!

حينها شعرت بقلبى يتحطم بأبرد الطرق .. وخيم الحزن على أطلال قلبى بسرعة بالغة لم أر خلالها شيئًا به .. كضريرٍ طُمِسَ على عينه كل ما فى الدنيا التى كان يرى بها كل من أحب وقلبه الذى كان يشعر من خلاله بكل من يعشق. لقد باتت الحياة بلا أمل ولا هدف ولا حتى حبيب .. فأغلقت الهاتف فى ذهول .

* * *

(15)

فأجهشت عينى بالبكاء .. تلك أول مرة تعرف عينى معنى الدموع الحارقة إحساس مرير كمرارة الصبار فى الحلوق .. لقد سلبت منى الحياة أعز وأغلى الناس إلى قلبى وتركتنى أنعم فى الوحدة بإرادتها لا بإرادتى .. هل لى أن أصبر نفسى كباقى الناس وأقل (قسمة ونصيب) أم أننى كنت السبب فى ذلك المصير الذى أعانيه الآن وحدى .. كم من العشاق لم تكتمل حياتهم معًا وكم من المحبين لم تبق قلوبهم سويًا وكان الفراق سيد قلوبهم؟!

إلى متى سيظل الفراق هو سيد الحب؟!

يأمره بأن ينتهى فى أى وقت يشاء .. ويباعد بين القلوب فى كل لحظة وحين.

لقد أطل البين علينا وعلى قلوبنا بوجهه المشؤوم حتى فرق بينى وبين حبيبتى لكن معركتى معه ستظل للنهاية بل وستظل أيضًا إلى الأبد.

وفى اليوم التالى...

مَزَّقتُ ما جال بخاطرى فى الماضى القريب وقررت العمل من أجل البقاء دون الحزن على الأطلال .. فذهبت رأسًا إلى الشركة التى يعمل بها عمى وبالفعل تمت المقابلة ونجحت بها ليس من أجل عمى لكن بسبب أننى كنت أفضل السيئين كما يقولون وبالفعل تسلمت عملى فى قسم التسويق كمصمم دعائى لم أكن أملك الخبرة بالطبع فى هذا المجال .. لكننى كنت مؤهلًا لاستخدام برامج التصميم ولم آخذ كثيرًا من الوقت لتعلم خواص عملى الجديد.

بعدها سرقتنى دوامة العمل الجديد مرددًا فى عقلى..

وماذا بعد الآن؟!

لم أجد حنان بجانبى الآن .. فلماذا ولمن أعمل؟!

ينتابنى الملل فى بعض الأحيان نتيجة فقدانى الهدف الرئيسى من وجهة نظرى وهو حنان.

تدور فى ذهنى كثيرًا نوبات من الصراع تكاد تزورنى كلما قررت التخلص منها يشرد ذهنى كثيرًا فى سبب فراقى أنا وحنان .. وفى إحدى الشوارد دلف علَىَّ عمى أثناء عملى مقاطعًا:

- إيه أخبار الشغل معاك يا بطل؟ إن شاء الله يكون بخير؟

- الحمد لله يا عمى .. كله بسببك.

- لأ .. إنت اللى إختاروك عشان كنت أفضل واحد متقدم للوظيفة دى.

- ده ما ينكرش إنك كنت السبب الرئيسى فيه.

- أنا أهم حاجة عندى تكون إنت بخير.

- الحمد لله يا عمى .. بخير.

- كنت عايز أتكلم عل شده موضوع ممكن؟

- آه .. أوى .. أوى .. إتفضل.

- شوف يا إبنى أنا عايز مصلحتك وإنت عارف كده كويس .. بس عايزك تفكر بعقلك شوية وتركن قلبك وعواطفك شوية على جنب .. عشان تعيش عيشة كويسة وتكون مرتاح فيها بدل ما تتلطم.

- مش فاهم حاجة.

- على العموم .. هتفهم بالليل هعدى عليك نتكلم مع بعض شوية عشان الكلام مش هينفع هنا.

- مفيش مشكلة.

- تعالى معايا دلوقتى.

- على فين؟!

- نسلم على المدير ونشكره على شغلك الجديد.

- واجب برضو.

فسحبنى عمى كأنما يجر قطعة أثاث من مكانها وأنا أتبعه فى استسلام بعدها دلفنا إلى غرفة المدير فوجدت فتاة تكبرنى بعدة سنوات تجلس على مكتب فخم وكرسى مذهب وعليه أدوات كُثُر فهمست فى أذن عمى قائلًا:

- يلا يا عمى عشان نخش عند المدير.

- ما إحنا عند المدير.

- طيب ما تقول للسكرتيرة تدخلنا عنده.

- دى مش سكرتيرة.

- طيب دى مين؟!

- هى دى المدير.

فجحظت عيناى من فرط المفاجأة .. أول وهلة أرى مدير شركة يملك جمالًا رائعًاكهذا أو تكن من نفس المرحلة العمرية التى أخطو بها الآن عجبًا .. تجلس كأنثى متربعة على عرش القلوب فى ثقة وكبرياء تأمر وتنهى باسم الحب قلوب العاشقين من أثر القلوب بها وتعلق المحبين بمفاتنها.

حينها انطلق الكلام من فم عمى قائلًا:

- صباح الخير حضرتك .. أنا جيت مع ابن أخويا باسم عشان نشكر حضرتك على تعيينه معانا فى الشركة وإن شاء الله يكون عند حسن ظن سعادتك.

فأكملت قائلًا:

- أشكرك يا فندم.

فرمقتنى بنظرة استكبار ثم نظرة فاحصة ماحصة وأخذت تتحرك من حولنا فى الغرفة ثم قالت:

- شاب وسيم فعلًا .. لكن قولى إنت مرتبط؟

تعجبت كثيرًا من السؤال .. ما هو دخل ذلك الموضوع بالعمل لكن قررت أن أريحها خاصة بعد نظرة عمى لى تعجلنى بسرعة الإجابة فقلت:

- لا.

- ولا حبيت قبل كده؟!

- حبيت.

- ولسه مكملين مع بعض؟!

تأفأفت من أسئلتها والتى تسألُنى إياها وهى تدور وتحور فى الغرفة وتقولها بكل برود وصفاقة أمام عمى دون أخذ أى اعتبار له عندها زغدنى فى كتفى كى أكمل فقلت:

- لأ.

- ويا ترى إيه السبب؟!

- ده شىء ما يخصكيش.

فاستشاطت غضبًا قبل أن تقول:

- أنا كل حاجة تخص موظفينى لازم أعرفها حتى لو شخصية.

فرد عمى:

- آسفين يا فندم هو لسه جديد وما يعرفش.

فقالت بلهجة حادة:

- على العموم مش هحاسبك على الكلام ده عشان إنت لسه جديد وعشان خاطر عمك ولو اتكررت تانى .. إسأل عمك أنا ممكن أعمل إيه.

فكرر عمى الأسف قائلًا:

- أنا هعرفه غلطه حضرتك.

عندها خرجنا من مكتبها إلى مكتبى بعدما أشارت لنا بالخروج فقلت لعمى:

- إيه البت أم نص لسان دى؟!

- البت اللى مش عاجباك دى صاحبة الشركة ورثتها عن أبوها وهى اللى بتمشيها على مزاجها وهى عندها حب فضول كبير جدًا وبتحاول تعمل علاقات كتير مع الناس.

- وده يديها الحق إنها تعمل فينا كده؟!

- هى صاحبة الشركة وهى شايفه إنها لازم تعرف كل حاجة عن اللى بيشتغل عندها وخصوصًا اللى فى سنها.

- واشمعنى بقى اللى فى سنها؟!

- دا كلام يطول شرحه .. خلص شغلك وبعد الشغل نبقى نتقابل على القهوة اللى جنب البيت عشان نقعد نتكلم شوية.

- أوك.

بعدها غادر عمى مكتبى عائدًا إلى عمله وبعد انتهاء العمل ذهبت إلى الكافيه المتفق عليه فوجدت عمى قد سبقنى وطلب قهوته المفضلة فطلبت إحدى العصائر الفريش وبدأ الحديث.

- شوف يا باسم .. الموضوع وما فيه إن البنت دى والدها متوفى وأمها صاحبة مرض .. لكن هى اللى علمتها التفاخر على الناس وإن الناس مش من مستواها وده عملها عقده وخلاها بتدور على عريس .. لكن مفيش حد بيعرف يتعامل معاها كلهم عل شده عد الشركة وميراثها من أبوها وكمان أمها لما تموت هتورث هى عزبة وفيلا عليها .. قصر الكلام .. إنت الوحيد اللى عرفت من غير ما تقصد تتعامل معاها وأنا شايف إن ظروفك مش تمام ومحتاج فلوس كتير عشان تكون نفسك وتشوف مستقبلك .. فأنا شايف إنك تتجوزها وتعيش ملك وترتاح من كل الهموم اللى إنت فيها.

- إيه يا عمى اللى بتقوله ده .. ده أنا ما طيقتهاش ربع ساعة تقولى أتجوزها.

- يا إبنى إنت عاملتها بالأسلوب الصح .. وده هيخليها مكسورة شوكتها طول

عمرها وبعدها هتكون حياتك أحلى وانت معاك فلوس وشركة وأنا اللى هبقى شغال عندك وكمان زوجة يعنى مفيش بعد كده يعنى .. كل حاجة جايالك على طبق من دهب أهو.

- ما ينفعش يا عمى .. أنا ما بحسبش الموضوع بالشكل ده أبدًا.

- طيب .. إنت بتحسبه إزاى؟!

- أنا بحسبه بالحب والمشاعر والمشاركة بين الإتنين اللى بيتجوزوا مش بالفلوس.

- ما تآخذنيش يعنى .. هو إنت خدت إيه من الحب .. أو على الأقل هتاخد إيه منه مش هينوبك يا ابنى غير سهر الليالى لوحدك تفكر فيها وهى مش سائلة فيك وكمان تحب فيها واحتمال تكون هى ما بتحبكش وفى الآخر هتتجوز واحد غيرك عل شده عد تعد النجوم وتندم على اليوم اللى عرفتها فيه.

لم يكن يعلم عمى بما حدث بينى وبين حنان لكنه مَسَّ الجرح وضغط عليه بعنفوان، ربما كان معه حق فيما قال لكننى لن أقدر أن أخالف قلبى مهما كانت الأسباب فالزواج حياة بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. فلا أعتقد أننى سأتغاضى عن مبدأى نظرًا لزيادة رصيدى من المال أو لمكانة عالية .. بل الحب والتفاهم والود هم سبيلى للحياة مهما بلغت مشاكلى عنان السماء سيظل الحب سيد أمرى.

عندها قال لى عمى:

- فكر فى الموضوع كويس وإوعى تتسرع عشان ما تضيعش الفرصة دى من إيدك وشوف مصلحتك بدل ما إنت بتدور على الحب بس .. بكره لو وافقت ييجى مع الفلوس وتبقى ما حرمتش نفسك من حاجة.

فقمنا من مجلسنا ودفع عمى الحساب وعدنا سويًا إلى البيت .. لم يتركنى التفكير فيما قاله عمى فكلما تغاضيت عنه .. أتذكر ما فعلته معى حنان حينها أفكر فى عرض عمى .. ربما كان هو المخلص الوحيد لى من المأزق النفسى الذى يحاصرنى دائمًا .. لكننى قررت الهروب حينها فى غرفتى بالرسم.

الرسم الذى فارقته طيلة الأيام الماضية .. نتيجة تزاحم الأيام والهموم والمشاكل التى لا حصر لها فى حياتى .. فأخذت أرسم وأرسم حتى أفرغت ما بداخلى على الأوراق دون أن أشعر إننى أسقطت على الورق دمعًا ودموعًا كانت هى وحدها السبب فيها.

وفى اليوم التالى,, ذهبت إلى عملى فى حيرة من أمرى أفكر كثيرًا فيما طرح علَى .. لكننى اعتقدت أن تلك العلاقة ستكون هى المفتاح السحرى لحل مشاكلى جملة وتفصيلًا وراودتنى الشكوك كثيرًا فى ذلك الأمر.. لكن جراحى كان لها النصيب الأكبر حينها للتدخل فى قرارى سواء بالقبول أو الرفض.

وقتها وصلت إلى مكتبى وبدأت فى العمل وما أن أنهيت بعض أعمالى حتى تفاجأت بشىء لم يكن فى الحسبان. إنها مديرة الشركة تدخل مكتبى فجأة .. وما سمعته عنها أنها لا تذهب إلى الموظفين فى مكاتبهم .. بل يذهب الموظفون إليها عندما تطلب ذلك.

حينها شددت عودى ووقفت فجأة أمامها أتعجب من ما رأيت .. فعرضت عليها الجلوس فأبت أن تجلس ثم قالت:

- مش مهم أقعد .. المهم إنى أتكلم معاك شوية.

- مفيش مشكلة .. إتفضلى.

- أنا هكون صريحة معاك .. إنت شديتنى أول ما شوفتك وعشان كده كنت عايزة نكون أصحاب ولو عرفنا نتفاهم مع بعض ممكن نتخطب وهكذا.

فتعجبت من جرأتها المبالغ فيها وقلت:

- هو طبعًا شرف ليا إن إحنا نكون أصدقاء .. لكن إننا نتخطب دى تعتبر بالنسبه لى من رابع المستحيلات.

- وليه بقى إن شاء الله .. مش قد المقام ولا إيه؟!

- العفو يا فندم .. بس أنا ظروفى المادية ما تسمحش بكده وأكيد ده شىء معروف بالنسبة لك.

- عارفه بس ده أكتر حاجة شدتنى ليك .. ظروفك وما تشيلش هم الماديات المهم إننا نتفاهم.

- مادام الأمركده .. مفيش مانع.

- أوكى .. هقابلك فى المطعم اللى جنب الشركة بعد الشغل.

- تمام .. مفيش مشاكل.

حقيقة عرض صريح ومغرى بالنسبة لى .. ولم أكن أتوقع أن تكاد تحل جميع مشاكلى فى غمضة عين لكن كما يقال الفرصة لن تأتى إلا مرة واحدة فإن لم أحسن استغلالها فلن تأتى مرة أخرى.

وبعد فترة انتهى العمل والذى كانت شهيتى مفتوحة له فقمت به على أكمل وجه وخرجت متجهًا إلى المطعم فى عجالة حتى وجدتها قابعة على إحدى المناضد تنتظرنى فأسرعت إليها ودعتنى للجلوس.

فى البداية،،

أخذت أنظر إلى المطعم .. إنه مطعم أنيق يتضح من مكوناته أنه غالى الثمن ولا يقدرعليه من هو مثلى لكنها نظرت إلىَّ وكأنما تفهم ما تنضح به عينى وطمأنتنى بعينها على اتفاقنا وأنها هى من ستتكفل بثمن هذا المطعم حينها طلبنا طعام الغداء ومن ثم تناولناه إلى أن فرغنا منه ثم بدأنا نتبادل أطراف الحديث:

- إيه أخبار الشغل معاك .. كويس؟

- الحمد لله .. ماشى الحال بس متعب شوية.

- عل شده بس فى الأول .. لكن بعد كده الأمور بتتحسن.

- أنا كنت عايزة أحكيلك عن نفسى شوية.

- إتفضلى.

- أنا وحيدة بابا وماما .. بابا توفى وسابلى الشركة أتحمل مسؤوليتها ومن حسن حظى إن أنا كنت بشتغل معاه قبل ما يموت بشوية

ولولا الفترة دى كان زمانى مش عارفة أدير الشركة أبدًا ولو يوم واحد.

- وبعدين؟

- بس ورثت الشركة باللى فيها .. لكن مستقبلى لسه ما كملش.

- أعتقد كده مش ناقصك حاجة؟

- لأ .. ناقصنى أهم حاجة.

- إيه هى؟!

- الجواز.. ناقصنى زوج يحافظ عليا ويحمينى وأحبه ويحبنى وكمان يحافظ علَيا من الناس اللى ممكن تطمع فى الشركة.

- آه .. حتى لو كان على قد حاله زيى كده؟!

- أيوه .. عشان أنا واثقة إنك إنسان كويس.

- متشكر.

- ممكن تحكيلى عنك شويه؟

- أه .. أوى أوى .. أنا متخرج من فنون جميلة ومن إسكندرية .. لكن عشت معظم حياتى فى القاهرة كان عندى مشاكل أى شاب عايز يتجوز وهو لسه متخرج وما لحقش يشتغل ويجيب أساسيات الزواج .. لكن الحمد لله اشتغلت.

- فى الشركة؟!

- قبل الشركة وفيها وكنت على علاقة قديمة مع زميلتى فى الكلية لكن ما حصلش نصيب بسبب إمكانياتى المادية.

- خسارة إن أى علاقة تتفركش بسبب ماديات .. وبعدين؟

- مفيش .. سيبنا بعض عشان أمها لقيت لها عريس غنى ومعاه فلوس وفضَّلِتُه هى كمان عليا لما وافقت عليه.

- مش جايز إنها كانت مجبرة عليه من أمها أو عشان ظروفها المادية ضيقة شوية.

- ولو .. ده يخليها تضحى بحياتنا كلها وبعِشرة العمر فى ثوانى عشان عريس معاه فلوس .. أكيد الفلوس هتخلص.

- وبطلت تكلمها؟!

- طبعًا .. وركزت فى شغلى عشان أكون مستقبلى.

- حكاية غريبة.

- فعلًا وإنتى أغرب ما فيها؟!

- ليه؟!

- عشان عمرى ما شوفت واحدة تروح تقول لواحد تعالى نتصاحب وبعدها نتخطب وكده طيب الرجالة تعمل إيه دلوقتى؟!

- ولا حاجة .. مفيش أنا بس بحب أكون صريحة عشان ما أضيعش وقت.

- عملية يعنى.

- بالظبط كده.

مر الوقت دون أن نشعر بأى ملل بل أفرغت ما بداخلى من آلام وهى أيضًا حتى استراحت نفوسنا بذلك وعدنا إلى بيوتنا سالمين.

مرت الأيام وعلاقتنا تتوطد أكثر فأكثر حتى أتى يومًا لم أدرِ ما سيحدث فيه هيا نرى.. ذهبت فى أحد الأيام إلى عملى كعادة كل يوم .. وما أن مر الوقت حتى طلبتنى فى مكتبها فذهبت لها فقالت لى:

- إزيك يا باسم .. عامل إيه؟

- الحمد لله .. وإنتى؟!

- بخير.

- كنت عايزة أطلب منك طلب؟!

- أؤمرى.

- كنت عايزاك تيجى تقابل ماما النهارده.

- ليه؟!

- عشان تتقدملى.

- وهو أنا وعدتك بحاجة.

- يعنى إيه؟!

obeikan.com

- يعنى اتفاقنا كان واضح من الأول لو متوافقين هنتخطب وكمان قولتلك لما ظروفى تتحسن شوية.

- يعنى مش هتيجى؟!

- لأ .. وكمان مش تاخدى رأيى فى حاجة زى دى .. هو إنتى عايزة تحرجينى وخلاص.

- لأ طبعًا .. بس أنا شايفه إنه الوقت المناسب.

- وأنا شايف غيركده.

- يعنى مش هتيجى برضه.

- لأ.

- بعد كل اللى صرفته عليك .. جاى تقولى لأ.

فنظرت لها نظرة نارية غاضبة وصحت بها:

- صرفتى عليا إيه .. هو إنتى أمى ولا أبويا .. ده كان برضاكى عشان ترضى رغبتك إن يبقى معاكى راجل والسلام .. فحاولتى تشتريه بالفلوس .. لكن لأ أنا أسف مش أنا الراجل ده.

- طيب إنت مرفود.

***

obeikan.com

(16)

فالتقطت ورقة وقلم من على مكتبها وكتبت استقالة سريعة ووضعتها أمامها على مكتبها وألقيت القلم عليها فانزلق بينها وبين المكتب على الأرض فشعرت بالإهانة ولكننى قلت لها قبل ذلك:

- دورى على إنسان يحبك وتحبيه .. مش يحب فلوسك.

وتركتها مغلقًا الباب بعنف ورائى حتى أننى لم ألقِ لعمى بالًا وأنا أغادر الشركةَّلم أعد أحتمل أى خلافات أو مشاكل تُنَغِّصُ علىَّ حياتى .. لا أدرى هل أنا مخطئ حقًا أم إننى أسير فى الطريق الصحيح حينها عدت إلى بيتى الذى هو ملاذى الوحيد وسط تلك المشاكل المحيطة بى.

لم أعد كسابق عهدى رومانسى حالم .. لكننى أصبحت الآن عمليٌّ بائس أبحث كل فترة عن عمل لا يروق لى لسببٍ ما .. لكننى أهوى الاستقرار تعلمت كثيرًا من الرسم ولكننى لم أتعلم منه أكثر من الصبر والصبر أولًا وأخيرًا .. فعندما أرسم لوحة آخذ فيها وقتًا كثيرًا ربما ساعات أو أيام أو أشهر لكننى وإن تسرعت بها لم تظهر بالشكل المطلوب وإن أخذت وقتها ستظهر أفضل مِمَّا أتخيل .. هكذا المستقبل كما يجب أن يكون.

وفى إحدى الأيام,,,

كنت أتصفح شبكة الإنترنت كعادتى لتعلم كل ما يطرأ على الرسم من جديد وإذا بى أجد شيئًا لم يتسنى لى أن أدركه من قبل.

لقد وجدت محاضرة فى إحدى ورش الرسم كما يطلق عليها وشخص فى مثل سنى تقريبًا يضع معلومات كورس للرسم وبه رقم الهاتف والعنوان فى البداية لم تكن الفكرة قد نالت منى .. لكننى الآن فى حاجة ملحة إلى العمل فجمعت بعض المعلومات .. وأخذت أفكر جديًا فى الأمر.

وبعد تفكير مرير توصلت لخوضى تلك التجربة .. وأعتقد أن عندى كل ما يلزم للتعليم من دراسة وخبرة فى الممارسة والموهبة على حدٍ سواء وقتها أردت أن أبدأ بتأجير مكان مناسب وبالفعل بحثت عنه كثيرًا إلى أن وجدته ولكنه يحتاج مالًا كثيرًا فى البداية .. فلم أجد مجالًا للحصول على المال سريعًا بدون العمل إلا عن طريق حبيباتى .. لوحاتى العزيزة.

طيلة حياتى لم أكن أريد أن أبيع إحداها أو حتى جميعها .. لكننى كنت أؤمن بأنها أغلى شىء فى حياتى فضلًا عن أنها هى إرثى الوحيد لكننى لم أجد مجالًا إلا للتضحية بشىء ما أو ربما بأعز وأغلى الأشياء فى سبيل الوصول إلى مبتغاى .. فالتقطت بعضًا من اللوحات ونفسى تؤنبنى على تلك الفعلة لكننى عندما أتذكر أننى سأدفع ثمنها لبناء مشروعى المفيد والذى سوف يضمن لى العمل فى مجالٍ أحبه أفضل عندى من أى شىء فى الدنيا.

أصعب لحظات على الفنان الحقيقى فى أى مجال هو أن يتركه فنه ويرحل مقابل مادة أو شىء من هذا القبيل .. فما بالكم بى وأنا الذى أقدم على بيع لوحاتى بإرادتى.

تعثر عقلى كثيرًا قبل أن أقطع أحباله وأذهب إلى إحدى الأتيليهات التى تقتنى تلك اللوحات .. فى البداية كانت لا تريد اقتنائها بحجة عدم وجود أموال أو أن الأتيلية لا يتسع به مكان لعرضها فيه .. وبالتالى كنت أغادر وأردد فى ذهنى تلك الجملة الشهيرة (رضينا بالهم والهم مش راضى بينا).

وبعد البحث المضنى وجدت معرضين قسمت عليهم أعمالى فجنيت مبلغًا لا بأس به منهم ونويت الإعداد للمشروع.

فى البداية،،

تعاقدت على المكان وبدأت ببعض الطلبة من خلال الإعلانات اليدوية والتى توزع فى الشوارع وبعض الأدوات الأساسية للطلبة وبدأت المحاضرات.

بالطبع كنت أرهب فكرة التدريس فى البداية لأننى أول مرة أقم بها.. لكننى تقدمت فيها رويدًا رويدًا إلى أن وصلت إلى التميز فيها.

مرت الأيام مرور الكرام،، وفى إحدى الليالى جاءنى عمى بزيارته المعتادة فأدخلته ثم أردف يشعل سيجارته قائلًا:

- عامل إيه يا باسم .. كويس؟

- الحمد لله .. إنت عامل إيه يا عمى؟

- بخير.. بس متضايق شوية.

- لييه .. آه .. قصدك عشان سيبت الشغل.

- يا ابنى إيه حكايتك .. هو كل شغل تقعد فيه شويه وتمشى ما ترسى على بر.

- ما إنت ما عرفتش ايه السبب اللى سيبت عشانه الشغل.

- وإيه السبب يا ترى؟!

- الهانم عايزانا نبقى أصدقاء وبعدها مخطوبين وراحت حددت مع أمها معاد من غير ما تاخد رأيى فى أى حاجة .. وكمان بتعايرنى عشان الفلوس.

- وإيه اللى مزعلك يعنى .. طيب ما انت مش معاك فلوس هى مش دى حقيقة.

- ده إحنا لسه أصدقاء وبتعايرنى .. طيب لو بقيت جوزها بقى هتعمل معايا إيه!!

- يا ابنى ما تبقاش قِفل بقى .. أنا عايزك تركز فى مستقبلك وتعرف مصلحتك فين.

- لأ يا عمى .. أنا خلاص مش ناوى أرجع لو إيه اللى حصل أهانتنى .

- يعنى أغيب كام يوم فى السفر للشغل .. أجى ألاقيك عامل كده فى نفسك.

- معلش يا عمى .. أنا لقيت شغل تانى .. مشروع صغير عملته ومبسوط فيه.

- مشروع إيه؟!

- ورشة لتعليم الرسم.

- يا ابنى إنت مش هتفوق من اللى إنت فيه.

- ليه؟!

- كل أما أكلمك فى شغل تقولى رسم.

- ما تنساش إن أنا متخرج منه يا عمى.

- يا ابنى 100 مرة قولتلك .. الدراسة شىء والشغل شىء تانى خالص.

- معلش يا عمى .. أنا اخترت خلاص وكمان عايز أشكرك على اهتمامك بيا وعلى الشغل اللى جيبتهولى فى الشركة.

بالطبع لم يكن يهتم عمى أو يقتنع بأى كلمة أقولها والدليل على ذلك أنه أطفأ سيجارته بقليل من العنف وخرج قائلًا:

- مفيش فايدة فيك.

كنت فى حاجة ماسة للحديث مع أحد أحبه .. لقد بعد عنى الأحباب جميعهم لكننى لم أجد سوى الحاضر الغائب .. حاضر بروحه وغائب بجسده (أبى) لقد افتقدته كثيرًا .. فهاتفته:

- عامل إيه يا بابا.

- باسم .. الحمد لله يا ابنى .. إنت عامل إيه؟

- بخير يا بابا .. وإنت صحتك عامله إيه؟

- الحمد لله يا ابنى .. بس أنا زعلان منك يا باسم.

- ليه يا حاج طيب؟!

- عشان ما كلمتناش بقالك مدة.

- والله الشغل تاعبنى أوى .. وإزاىّ ماما وليلى كويسين.

- الحمد لله.

- هما فين؟!

- ماما نايمة .. أصحيهالك؟!

- لأ .. مفيش داعى.

- وليلى؟!

- راحت تجيب شوية حاجات من خالتك.

- طيب سلملى عليهم.

- عامل إيه فى الشغل؟

- أهو هو ده المشكلة.

- ليه خير؟!

- هحكيلك.

وبعد سرد طويل قال لى أبى:

- شوف يا ابنى .. أنا ياما زمان اشتغلت كتير وما عَمَّرتِش زيك فى شغلانة وده عشان كل واحده كان فيها مشكلة شكل .. بس لما كبرت رضيت بأقل مشاكل فى شغلانة عشان أعيش وعشان كمان لازم أرسى على بر .. واللى عملته صح عمك عشان عملى زيادة عن اللزوم فممكن يتغاضى حتى عن حاجات أساسية عشان شغله .. لكن قيمتك فى شغلك .. لو مالكش قيمة يبقى ما ينفعش تشتغل.

وبمرور المكالمة .. أدركت أننى على حق فيما حدث مما أراحنى نفسيًا حتى انتهت .. بالطبع كان الخلاف بين أبى وعمى فى ذلك المبدأ لكننى كنت على خطى والدى فى ذلك.

مَرَّت أيام كثيرة ومشروعى يزداد نجاحًا ومعرفة والعديد من الطلاب يتوافدون حتى قررت التوسع نظرًا للعدد الكبير الذى طلب الانضمام إلى الكورس ومع مرور الوقت قمت بالتوسع وازداد المشروع توهجًا وبريقًا.

إلى أن جاء يوم .. انقلبت فيه حياتى رأسًا على عقب.

لقد حضرت الكورس فتاة جميلة ورقيقة .. ترى فى عينيها بريقًا لامعًا يجذبك إليه فى الوهلة الأولى .. لفتت انتباهى وشدت تلابيب قلبى فى عنفوان، ورموشها عندما تتحرك أشعر بحركة غريبة تعتمل داخل نفسى .. لقد خطفت قلبى وعقلى عندما وجدتها تتفاعل معى وسط المحاضرات وفى الرسم تعطى نتائج مبهرة عن باقى الطلبة .. تنظر إلىَّ نظرة حالمة تشف ما بها من مشاعر.. إنها حقيقة ليست بحلم.

وتجدد عهدى معها عندما علمت بوجودها بالكورس ولم تتغاضى عن أى محاضرة تعشق الرسم مثلى وتحاول أن تصل إلى أعلى مستوى فيه ومن الملفات الخاصة بالطلبة علمت عنها الكثير .. اسمها منقسم من اسمى (بسمة) وعلمت أيضًا بعض المعلومات العادية ولكن ما لفت نظرى هو أنها خريجة فنون جميلة فسعدت كثيرًا نظرًا لوجود تشابهات كثيرة فى حياتنا ومن هنا قررت أن أترك صمتى ونظراتى جانبًا وأتحدث إليها ولقد وجدت المدخل فهنيئًا لى بها.

وفى إحدى الأيام،،

وجدتها قابعة فى قاعة الانتظار بمفردها فاتجهت إليها وجلست بجانبها فتعجبت من ذلك فى بادئ الأمر فقلت:

- مساء الخير.

- مساء النور.

- إنتى خريجة فنون جميلة.

- آه .. فعلًا.

- كنت عايز أعرف بس إنتى خريجة فنون جميلة .. بتاخدى كورس رسم ليه مع إن رسمك رائع .. أعذرينى ده حب استطلاع بس.

- ولا يهمك .. كل الحكاية إنى بحب الرسم جدًا لدرجة إنى حبيت أحسن مستوايا وبس.

- شىء عظيم .. أنا برضو خريج فنون جميلة.

- بجد.

- آه .. ولو عايزة حاجة قوليلى ما يهمكيش.

- ميرسى.

- أنا شايف إن فيه حاجات مشتركة ما بيننا.

- ده شىء جميل يا مستر.

- بدون ألقاب.

- بس ما ينفعش.

- على الأقل ما بينى وبينك.

وبعد تردد واحمرار الوجنتين:

- طيب يا باسم.

- أول مره أحب إسمى.

فابتسمت فى خجل وشعرت بأننى أهتم بها وبأمرها مما جعلها تدرك حقيقة مشاعرى تجاهها ومن ناحيتى لم أكن أتوقع إننى سأقع فى الحب مرة أخرى.

مرت الأيام,,

والورشة مازالت تعمل بكل طاقتها وبسمة تتحسن رويدًا رويدًا فى الرسم إلى أن قفزت فى ذهنى فكرة .. يجب أن أستفيد من موهبتها ودراستها تلك يجب أن أعرض عليها أن تشارك فى التدريس معى حتى أستفيد من موهبتها ودراستها ولكى تبقى بجانبى دائمًا .. فى البداية لم تقبل لأنها شديدة الخجل لكن بإصرارى وطمأنتها بأننى سأظل جانبها فى العمل لم تتردد فى أن تقبل بذلك .. بعدما تأكدت من تحسنها والذى أهَلها لذلك العمل.

وبعد أيام,,

كثرت الطلبة وأخذت أتوسع فى الدعاية وتقنين أوضاع الورشة وفعلت كل ما جاء بذهنى للدعاية المتاحة وفى إحدى الأيام جلست معى بسمة لكى تشاركنى أفكارى..

obeikan.com

لقد أصبحنا الآن كشريكين أنا بالمال والورشة وهى بالعلم والحب لقد شعرت تجاهها بحب لم يكن بالحسبان .. يكاد يكون أعلى وأسمى من حبى لحنان .. وفى تلك المقابلة تبادلنا الأفكار لتحسين مستوى العمل:

- باسم .. إيه الحكاية .. شايفاك متضايق؟!

- لأ ولا حاجة .. أنا بس مهموم.

- من إيه؟

- الشغل الحمد لله ماشى بدرجة كبيرة .. بنعلم كتير وندخل معارض أكتر .. هو ده الهَمّ بعينه.

- طيب وده هَمّ إزاى؟!

- طبعًا .. هَمّ كبير .. كل ما ننجح أكتر كل ما همومنا والتزاماتنا ناحية الناس تبقى كبيرة ونبقى مسؤولين عن إننا نكون فى خدمتهم دايمًا.

- مش ورشة الرسم دى من أحلامك اللى كان نفسك تحققها.

- طبعًا.

- طيب إيه المشكلة دلوقتى؟!

- المشكلة إنى خرجت من التوسعات فلوسى قليلة وناقصنى دعاية كبيرة تعوض اللى إتصرف.

- وفكرت فى أى نوع من الدعاية؟

- قولت بدل ما أعمل دعاية ورق وساعات بتترمى فى الشارع وساعات محدش بيقراها .. نعمل دعاية فى الجرنال .. هتبقى أفيد وأضمن.

- ومشكلتك الفلوس طبعًا؟

- آه.

- طيب بص يا باسم .. أنا كنت شايلة مبلغ أكيد هيساعدك هَدِّيهولك واعمل الدعايا وإن شاء الله ربنا هيوفقك.

obeikan.com

- لأ .. لا يمكن أبدًا .. إنتى بتقولى إيه يا بسمة؟!

- زى ما سمعت يا باسم .. هجيبلك الفلوس بكرة .. بعد كده إعمل الإعلان.

- ما يصحش يا بسمة أنا قولتلك عشان آخد رأيك مش عشان آخد فلوسك.

- ولا يهمك فلوسى وفلوسك واحد .. وإحنا شركاء مع بعض مش كده ولا إيه؟

- طبعًا شركا فى كل حاجة.

- يبقى تاخد الفلوس منى وتعمل الإعلان وكمان هزعل منك لو ما قولتليش على حاجة بعد كده وكنت حساس من ناحيتى.

فابتسمت لها قليلًا ثم قلت:

- وأنا ما أقدرش على زعلك.

فنظرت إلىّ نظرة حب وود شَفَّت عن ما بداخلها تجاهى .. لم أكن أتوقع منها تلك التضحية التى تصعب على أناسٍ كثيرين .. فهى اختارت أن تبقى بجانبى دون النظر إلى المال .. تلك التضحية بينت لى مدى تفاهمها معى وحرصها على مساعدتى فى حياتى مهما تعثرت الحياة.

* * *

obeikan.com

(17)

وفى اليوم التالى,,,

اكتملت أموال الإعلان وذهبت إلى إحدى الجرائد المشهورة ذات الانتشار الواسع وقمت بعمل الإعلان وذكرت اسم الورشة وكتبت على الإدارة بالإعلان اسم بسمة فقط .. عرفانًا منَى لما ساعدتنى به من أجل ذلك الإعلان ورأيت أنه كان واجبًا حتميًا علَى.

وفى ورشة الرسم,,

أخذت حنان فى تعبئة بياناتها أولًا قبل أن تعلم بجدول المحاضرات ومن ثم حضور المقابلة الأولى للتعارف بينى وبين الطلبة جميعًا .. وبالطبع لم أكن أعلم بذلك لكننى فوجئت بها وفوجئت بى فى وقتها .. فلم أكن أتخيل أو أتوقع على الإطلاق أن أراها مرة أخرى أمامى هكذا .. وهى لم تكن تتوقع ذلك على الإطلاق.

فى البداية حاولت أن أهرب من الموقف .. لكننى تماسكت لما رأيته من كم هائل من الطلبة الذين لهم الحق فى سماعى بالمحاضرة التى سألقيها .. لقد قطفنا أنا وبسمة ثمار أول طرح للإعلان .. ولكننى لم أتوقع أن أجنى بعضًا من الأشواك معها.

حاولت تجاهلها وتصنعت الانتباه للطلبة .. وعندما تتجه عينى إليها أجدها منتبهة إلىَّ جيدًا.

استمر هذا الحال قرابة النصف ساعة قامت بيننا النظرات مقام القلوب تتحدث بعنفوان عن ما مضى..

بنظرات العتاب ..

ولوعة الأحباب ..

وحينما انتهت المحاضرة،،

توقعت مالا يحمد عقباه .. لقد تبعتنى حنان إلى مكتبى بعدما دلفت إليه وشعرت بأن الموقف يتأزم أكثر.. لقد انتهت حياتى مع حنان .. فلماذا أتت؟ ولِمَ؟!

حينها سألتها:

- وهو إنتى مش عايزه تنسينى بقى؟

فأجابت حنان:

- أنا ما أعرفش إن أنا هلاقيك هنا .. أنا هحكيلك.

عودة بالذاكرة،،

فى إحدى الأيام .. كنت أجلس فى بيتى مع أمى وأقرأ جريدة الصباح كعادتى وأثناء تقليبى فيها وجدت الإعلان فقرأته ثم قلت لوالدتى ونحن نتناول طعام الإفطار:

- ماما .. فيه كورس رسم جميل وتكاليفه مش كبيرة .. ممكن أروحه؟

- ليه يا بنتى ما إنتى خريجة فنون جميلة .. وبعدين اللى زيك ممكن يدرس فيه مش يتعلم منه.

- معلش ما هو مفيش حاجة بتيجى بالساهل .. يمكن لما أعمل كده أعرف أعملزيهم وافتح زيهم مكان أو ياخدونى معاهم لما يعرفوا إنى فنانة.

- وكمان أنا عندى فراغ جامد ومحتاجة أرفه عن نفسى وألاقى حاجة تشغلنى أنا بصراحة مليت من قعدة البيت.

- هه .. طيب هعملك إيه زى ما تحبى.

- ميرسى يا ماما.

***

- ومن وقتها جيت لما عرفت إن بنت اسمها بسمه هى اللى ماسكة الكورس مش إنت.

- طيب إنتى مش قولتى إنك كنتى جايه عشان بسمة .. روحى بقى لبسمة عشان ما تعمليليش مشكلة.

فتعجبت حنان وتحركت بقلب مجروح وقالت:

- أعملك مشكلة ليه .. فيه إيه بينك وبينها؟!

- إسمعى الكلام بقى وامشى من هنا.

- مش ماشية قبل ما أعرف إيه اللى بينك وبينها؟!

وفجأة وبدون أى مقدمات دلفت بسمة إلى المكتب دون طرق .. فهى لم تعتد طرق بابى عند الدخول فهى شريكتى وحتى هذه اللحظة حبيبتى.

- أنا هقولك إيه اللى بينى وبينه.

فساد الصمت الغرفة .. وتجهمت وجوهنا للحظة صادمة حينها أصبح الصراع مريرًا إلى أبعد مدى فقالت بسمة:

- أنا شريكته فى العمل .. وفى الحياة .. أحبه ويحبنى منذ أن التقينا وأما عن سر اهتمامك بذلك فلا يهمنى ماضى باسم .. لكن حاضره ومستقبله هو شغلى الشاغل.

فنظرت إليها متعجبًا من ردة فعلها فقالت حنان:

- وما يهمكيش إنى أنا كنت أول حب فى حياته .. وإنى لسه بحبه لغاية دلوقتى.

فبدا قليلًا من التأثر على وجه بسمة واجتهدت حتى أخفته ثم قالت:

- وأما إنتى بتحبيه سيبتيه ليه .. ولا حنيتى لأيام زمان.

- ما تقول حاجة يا باسم .. قولها عن حبنا .. عن أيام الجامعة.

- كفايه كده يا حنان أرجوكى أنا وبسمة بنحب بعض وما عنديش استعداد إنى أسيبها لو إيه اللى حصل.

فشعرت حنان بفقدانها ماء وجهها فى ثوانٍ بعد كلامى لها فقررت الخروج بسرعة

تدمع دموعًا غزيرة تنشق لها البحور إجلالًا لمجراها .. دمعة ملاك .. تلك الفكرة التى تراودنى عندما تدمع حنان .. أشعر حينها بأنه ليس لها نصيبًا إلا من الجراح فى حبها.

هل يحدث ذلك لأننى مازلت أحبها حقًا وأشتاق إلى أيامها؟!أم أننى ابتغيت إرضاء نفسى على حساب قلبى؟!

حينها أشعر بسهام الحب تدمى قلبى عندما تدمع وهى تفارقنى.. فماذا عساى أن أفعل؟

حينها تبعتها بسمة هى الأخرى تدمع أيضًا فلحقت بها فلم تستجب لندائى عليها إلى أن أمسكتها من ذراعها وأوقفتها ثم قلت لها:

- إستنى يا بسمة إفهمى الحكاية.

- حكاية إيه؟! خدعتنى وما قولتليش عن ماضيك وحطيتنى فى موقف الجاهلة بالإنسان اللى حبيته وخليت صورتى وحشة قدامها .. كل ده ليه؟!

- إنتى مش فاهمة دى كنت بحبها أيام الجامعة .. لكن حصل ظروف وانفصلنا ومن ساعتها مفيش علاقة بيننا وأول مرة أشوفها كان النهارده وكان بالصدفة والله .. والإعلان هى قرأته ومش جاية عشانى دى جاية عشانك إنتى.

فتعجبت وقالت:

- عشانى أنا؟!

- آه .. أنا لما عملت الإعلان حطيت إسمك إنتى بس تقدير للى عملتيه معايا والفلوس اللى إديتيهالى وهى كانت بتحسب إن المحاضرة بنت عشان كده جت ولما شافتنى فى المقابلة استغربت زيّى تمام .. وبعد أما جيت المكتب جت تفكرنى بحبها .. لكن صدقينى .. الصفحة اللى تتقفل فى حياتى لا يمكن أبدًا أفتحها وللأبد.

عندها نظرت إلى وجه بسمة فوجدت بوادر البسمة على شفاها فتطلعت إلى عينها فوجدت بريق الحب يتبختر بين جنباتها فضممت يدها إلى صدرى وقلت لها:

- انتهى الماضى خلاص .. واللى جاى أجمل وأحلى معاكى إنتى وبس.

فقالت لى:

- أنا بحبك يا باسم .. وعشان كده ما أقدرش أشوف واحدة تانية تيجى وتاخدك منّى بالسهولة دى.

- وأنا كمان بحبك يا حبيبتى .. وما أقدرش أعيش من غيرك وقريب إن شاء الله فيه مفاجأة ليكى.

- مفاجأة إيه؟!

- ما أقدرش أقولهالك دلوقتى وإلا ما تبقاش مفاجأة.

- أوكى.

حينها أصلحت ما يمكن إصلاحه بعدما حاولت حنان أن تبعثر ما تبقى لى من حياتى .. أعلم أنها مازالت تحبنى وأننى مازلت أحن إليها فى بعض الأوقات كحب أول فى حياتى .. لكننى اخترت أن أكون بقلبى مع بسمة.

وبعد تلك اللحظة,,,

أصبحت علاقتى ببسمة مترنحة قليلًا نتيجة زيارة حنان لنا .. لم تعد تأتى إلى المحاضرات .. لا أدرى ما السبب هل هى رغبتها فى عدم إكمالها وخصوصًا أنها لا تحتاجها أم خوفها من مواجهتى ومواجهة بسمة والتى لم تستطع فى السابق التعامل معنا.

وفى إحدى الأيام,,

طلبت بسمة مقابلتى على وجه السرعة .. لا أدرى ماذا تريد مرة أخرى؟وعلامات الغموض تحيط بكلماتها .. فذهبت إليها مسرعًا إلى إحدى الكافيهات وما أن دلفت بداخله حتى وجدتها فى انتظارى وعلامات التحفز تطل من عينها فجلست أمامها فى تعجب وقلت لها:

- بسمة .. عاملة إيه؟

- أنا بخير.. وإنت؟

- الحمد لله .. خير مالك فيكى حاجة؟!

- لأ .. مفيش غير إنى كنت قاعده فى حالى .. قومت لقيت الصورة دى.

ففتحت هاتفها الخلوى ثم وجهته تجاه نظرى حتى رأيت شيئًا عجيبًا رأيت إحدى الصور التى كانت تجمعنى أنا وحنان أيام الدراسة وهى قابعة تحت ذراعى فقالت لى بسمة:

- انظر إلى الأسفل.

فحركت الصورة فرأيت تاريخًا مدون منذ أيام أى بعد مقابلتنا فى الورشة وحينما تأكدت من التاريخ نظرت إلى بسمة فوجدت التساؤلات تفضح عيبها فقررت الخوض فى ذلك الحديث والله معى.

- بسمه .. جاتلك منين الصورة دى؟!

- جاتلى من رقم غريب.

- تقريبًا من حنان .. أكيد هى اللى بعتتها.

- ما أنا عارفه إن أكيد هى اللى بعتاها .. بس إيه تفسيرك للتاريخ.

- أولًا الصورة دى متصورة من زمان وفعلًا كنَا أيام الدراسة ساعتها أما بخصوص التاريخ ف..

- إيه متلخبط ليه؟!

- لأ مفيش .. هتلخبط ليه .. التاريخ اللى مكتوب تاريخ ديجيتال يعنى المفروض تكون متصورة بكاميرا ديجيتال وإحنا كنَا مصورينها بالموبايل.

- ما هو يمكن مصورينها بموبايل فيه إمكانية عرض التاريخ.

- هو فعلًا كده بس دى من أيام الجامعة.

- طيب ودى؟!

حينها نزلت علىَّ كالصاعقة لقد بعثت لها صورتى وأنا أقبلها على وجنتها وهى التى جعلت الإقناع يكن بمثابة هروب غير مبرر.

- إنت بتحبها للدرجة دى؟!

- لأ طبعًا .. الكلام ده كان زمان .. والله أنا بحبك إنتى دلوقتى وهى عايزة توقع ما بينى وبينك عشان بتحاول ترجعلى.

- إوعى يكون دخل عليك إنى صدقت حكاية الصدفة اللى تمت .. للدرجة دى لسه عايز تقابلها وفرحان بلمتنا كبنات حواليك.

- أنا بحبك بجد يا بسمة .. فكرى كويس وما تخليش الغضب ينسيكى حبنا.

- قول الكلام ده لنفسك .. لو كنت عملت حساب للحب ده كنت حافظت عليه وما ضيعتوش من إيديك .. لكن حاولت إنك تجمعنا سوا من غير ما تضحى بأى حاجة عشان حبنا.

فقامت من مجلسها وحاولت الذهاب ولكنى أمسكت بيديها بقوة وقلت لها:

- إستنى .. أرجوكى.

- أرجوك إنت سيبنى أمشى .. وعلى العموم أتمنالك حياة جميلة معاها.

فجذبت يدها بقوة ثم غادرت المكان بسرعة حتى أنها تعثرت فى إحدى المناضد وهى فى طريقها إلى باب الخروج.

ومرت الأيام وبسمة لم تعد تأتى إلى الورشة ولم تفتح هاتفها حتى ذلك الوقت لم تعد حلاوة الأيام موجودة بعدما تركتنى لقد اعتدت عليها وعلى وجودها بجانبى .. فقد كانت تشاركنى فرحتى وأحزانى وفى إحدى الأيام فوجئت بحنان تحضر إلى الورشة وقد دلفت إلى مكتبى قائلة:

- شوفت بقى مين اللى بيحبك دلوقتى.

- إنتى عايزة إيه منى تانى .. فرّقتى بيننا عشان نفسك وما همكيش قلبى واللى عملتيه فيه.

فقالت بغيظ وحنق:

- إنت بتحبها بجد؟!

- يعنى بهزر معاها.

- لأبس ما توقعتش إنك هتكون بتحبها للدرجة دى .. أنا قُلت هما يومين وهيعدوا وبعدها ترجع لحبك القديم.

- صعب جدًا .. وأكيد مستحيل.

- وليه .. طيب؟!

- لأنّك سيبتينى فى أكتر وقت أنا كنت محتاجلك فيه وروحتى اتخطبتى لواحد جاهز ومعاه كل حاجة .. وكمان والدتك مارضيتش تجوزك ليا عشان مش معايا اللى

يكفينى .. لكن على الأقل لو كانت صبرت عليا يمكن كان الوضع اختلف وبقيتى معايا وكان زماننا عايشين عيشة كويسة دلوقتى .. لكن والدتك استسهلت وإدّتِك لحد عمره ما حبك لمجرد إن ظروفه المادية كويسة وقابلت بسمة واتعرفت عليها وطلعت جدعة معايا وساعدتنى بفلوسها عشان أعمل إعلان الجورنال وحبيتها زى ما حبيتك بس الفرق ما بينك وما بينها إنك إتخليتى عنى وهى فضلت جنبى وساعدتنى .

- كل ده شايله جواك؟!

- وأكتر من كده.

***

(18)

فاتجهت حنان نحوى وضمتنى إلى صدرها بعدما أسقطت دمعتين من فرط العذاب حينها ترفعت عن ذلك قليلًا نتيجة ما حدث لى منها لكننى أسلمت نفسى لها فشعرت بالحنان الذى افتقدته وحضنها الذى اشتقت إليه واحتوائها الدافئ والذى يندثر فى نفسى فأحطت ذراعى بها حتى ذابت بين أوصالى وانحنت رأسها على رأسى.

حينها كانت المفاجأة .. لقد دخلت علينا بسمة دون سابق إنذار فوجدتنا فى ذلك الموقف المحرج وهو الذى جعلها تتأكد من أن الصور تعتبر حقيقة لا محالة حينها حاولنا شرح الأمر لها فلحقنا بها بعدما غادرت لأنها كانت قد غادرت والدمع ينزلق من عينيها غزيرًا مريرًا حينها أمسكتها حنان من يدها وأجلستها على إحدى الأرائك فى بادئ الأمر رفضت بسمة الإنصات لكنها سرعان ما عدلت رأيها بعد إصرار حنان:

- بصى يا بسمة .. أنا هشرحلك كل حاجة .. أنا وباسم كنَا بنحب بعض زمان واللى بيننا حب كبير بجد لكن أنا كانت نفسيتى سيئة لدرجة إنى بحاول إنى أرجع حبى لباسم لكن ماعرفتش إن حبه ليكى هو اللى غَطَّى على حبه ليا وعشان كده حاولت إنى أخده منك .. أنا عايزه أعترفلك بحاجة.

- إتفضلى.

- أنا اللى بعتت الصورة.

- طيب ما أنا عارفه .. إنك أكيد إنتى اللى بعتى الصورة دى.

- بس أكيد مش عارفة .. إن أنا اللى كتبت التواريخ على الصور عشان أكمل الموضوع لصالحى وأفرق بينكم.

أخذت أستمع لتلك الكلمات فى حيرة .. هل من الممكن أن يحدث ذلك من حنان التى أحببتها أم أن الحب وحده يجعل الإنسان كالجريح يعصف بمن أمامه فى سبيل استعادة من يحب.

- أنا عملت كده عشان بحب باسم بجد ولولا إنى عرفت إنه بيحبك بجد ما كنتش صارحتك بكل ده.

- أنا آسفة يا حنان على اللى قولته .. أكيد كان بيجرح مشاعرك.

- ولا يهمك أنا مقدرة موقفك وأنا آسفة أنا كمان إنى عملت زيك برضو بس إنتى عارفه إن ده رد فعل طبيعى لأى واحدة ممكن تلاقى واحده بتحاول تاخد حبيبها منها.

- أكيد.

- أسيبكم بقى وامشى.

- على فين؟!

- خلاص ما بقاش ليا لازمة ما بينكم .. لكن أكيد هاجى أزوركم من وقت للتانى.

- حنان أنا محتاجِك معانا فى الورشه عشان تدرسى للطلبة.

- أنا ما عنديش مانع ده لو تسمح بسمة بس.

- طبعًا .. ده شرف ليا حبيبتى.

- متشكرة أوى .. أنا بس مسافرة لخالتى هقعد عندها كام يوم وبعد كده هجيلكم.

- تنورى فى أى وقت.

- شكرًا يا باسم.

غادرت حنان وهى لا تملك شيئًا من ما حدث .. لكنها أراحت ضميرها مِمَّ كان يؤرقها .. حينها نظرت إلى بسمة فى عتاب قائلًا:

- عرفتى بقى الحقيقة كلها.

- آه عرفت .. بس كنت بتحضنها أوى كده ليه؟!

- يا ستى دى هى اللى كانت بتحضنى .. ده أنا كنت قاعد على المكتب وهى اللى جت وحضنتنى.

- آه منك إنت يا مدوّب البنات.

- مش للدرجة دى .. أنا دايب فيكى إنتى بس.

- بجد يا باسم؟

- طبعًا يا روحى.

حينها أخذنا نداعب بعضنا مداعبات لطيفة حتى ذابت الخلافات بيننا وعدنا إلى ما كنَا عليه وفى الوقت ذاته قررت أن أهاتف حنان لكى أشرح لها وجهة نظرى تجاهها ولكى أشكرها على ما فعلته تجاه حياتى أنا وبسمة.

بالطبع تحدثنا كثيرًا وفضفضنا كثيرًا حينها ندمت حقًا كل الندم لأننى ساهمتولو بشىء بسيط فى إضاعة حنان منَى فهى حبى الأول الذى تعلمت من خلاله أسمى معانى الحب والعشق وأنبل وأطهر مشاعر صادفتنى وقتها لقد أحببتها حقًا .. والحق كل الحق أننى أحب حنان أكثر من بسمة وأعترف لكننى لن أعود إلى حنان أبدًا.....

ليتنى لم أقابلها أو أحبها....

فالنساء بعدها كذبة....

عدت يومها إلى بيتى,,,,

فرحًا مسرورًا لكننى عادة ما أفكر رغمًا عنى فى حنان وما آلت إليه .. فما زالت داخلى تأتينى بين الفينة والأخرى حينها قررت أن أهاتف عائلتى كى أتناسى همومى وذكرياتى معها...

- ألو .. أيوه يا بابا عامل إيه؟

- الحمد لله يا ابنى .. إنت إيه أخبارك.

- الحمد لله .. الشغل ماشى تمام بفضل دعاك إنت وماما.

- الحمد لله يا ابنى .. إيه مش ناوى تيجى تزورنا؟ .. ولا إنت روحت وقولت عِدُّولِى!

- قريب إن شاء الله .. ليلى عاملة إيه؟

- الحمد لله .. كنت عايز أقولك إنها جالها عريس ظروفه مش قد كده .. لكن هى

مَيَّالَة ليه بس أنا حاسس إنه مش هيقدر يفتح بيت .. خصوصًا إنه ما عندوش شقة خاصة بيه ولسه بِيْكَوِّن مستقبله.

- جميل.

- إيه الجميل يا باسم؟!

- إنها موافقة.

- هو بيشتغل؟

- آه.

- بس أنا مش موافق.

- ليه بس يا بابا؟!

- يا ابنى ده مش جاهز ولا عنده أساسيات الجواز يبقى إزاى هجوزه أختك؟!

- حتى إنت يا بابا .. بص بس أنا ظروفى مش كويسه لكن لو حبيت أتقدم لواحدة كنت عارف إنى ممكن أترفض عشان ما عنديش الأساسيات زى الشغل والشقة والفلوس بس الأهم إنه بيعتمد على نفسه وبيشتغل ويقدر يِعَيِّشهَا كويس أما باقى الحاجات ممكن تتدبر مع الوقت.

- بس يا ابنى الكلام ده لو عليك إنت مش مع أختك الوحيدة اللى حيلتنا.

- عادى يا بابا لو هى موافقة نشوف موضوعه وربنا يسهل .. بس إيه أخباره سألت عليه ولا لسه؟!

- يا إبنى بقولك أنا مش موافق.

- طيب هبقى أسألك أنا بقى لما آجى.

- طول عمرك فقرى.

- لما آجى بس نبقى نشوف الموضوع.

- طيب هتيجى إمتى؟!

- مش عارف بس هخلص شوية حاجات كده وهاجى على طول .. ومعايا ليكم مفاجأة.

- إيه هى؟!

- لما آجى هتشوفها.

- هى إيه دى اللى هشوفها؟!

- لما آجى يا بابا بقى ... هى ليلى موجودة؟

- آه خد أهى معاك أهيه.

- ليلى حبيبتى .. عاملة إيه؟

- باسم عامل إيه .. وحشتنى.

- وإنتى كمان والله .. كبرتى وبقيتى عروسة.

- ربنا يخليك ليا يا باسم.

- كنت عايز أقولك حاجة.

- خير؟!

- إيه رأيك فى العريس اللى بابا بيقول عليه؟!

فصمتت برهة ثم قلت لها:

- يعنى أنا كده فهمت .. طيب على بركة الله .. مش موافقة؟!

- يوه يا باسم.

- أخيرًا اعترفتى.

- خليكى على موقفك لحد ما أجيلكم عشان أقنع بابا.

- ربنا ما يحرمنيش منك يا باسم.

- إنتى تعرفى العريس؟

- آه.

- مين هو؟!

- دا أخو واحدة صاحبتى وجه البيت لبابا عشان يطلبنى رسمى.

- باين عليه ابن حلال وشاريكى.

obeikan.com

- آه ابن حلال بجد.

- ماشى يا بنت الحلال .. أنا جاى قريب ومعايا مفاجأة.

- إيه هى؟!

- إنتى هتعملى زى بابا .. سلميلى على ماما بقى .. كان نفسى أكلمها لكن شكلها نايمة أنا عارف مواعيدها.

- يوصل يا باسم.

- سلام.

- سلام.

وبعد مرورعدة أيام,,,

كنت على موعد مع بسمة فى إحدى الكافيتيريات على ضفاف النيل .. ذهبت إليها مسرعًا فوجدتها فى انتظارى فجلست وقلت:

- بتفكرى فيا ولا إيه؟

فابتسمت قليلًا ثم قالت:

- طبعًا .. بفكر فيك دايمًا.

- أسف لو إتأخرت عليكى.

- لأ ولا يهمك.

- أنا كنت عايز أبشرك بحاجة.

- خيريا باسم.

- تقبلى تتجوزينى؟

فتسمرت عيناها وتجهم وجهها من فرط الدهشة .. لم تكن مبالغ فيها .. لكنها لم تتوقع أن يأتى كل شىء بهذه السرعة ثم قالت:

- إنت فاجئتنى !!!

- هى دى المفاجأة اللى قلتلك عليها.

obeikan.com

فأخذت تفكر كثيرًا فى صمت حتى انتابنى شعور غريب وكأن بسمة ترفض الزواج منى لكنها شعرت بما يجول بخاطرى فابتسمت ثم أجابت بعينها بالموافقة .. حينها شعرت بأننى أملك الدنيا فى قبضة يدى .. والحياة لا تتسع إلا لقلوبنا التى ارتسمت على جدران قصور الحب والعشق .. أسمع أصواتًا ربيعية تتغنى بأجمل ألحان الهيام ويتراقص قلبى من حلاوة عينيها حينما نظرت لى بالموافقة.

- ممكن بقى تحدديلى ميعاد من ماما عشان آجى أقابلها؟

- طيب سيبلى أنا الموضوع ده .. بس خالى أكيد هييجى عشان مكان والدى وهو فى حكم والدى الله يرحمه.

- ولا يهمك .. حتى لو جيبتيلى عيلتك كلها .. برضو بحبك.

فتهللت أساريرها من مفعول الكلمة التى سقطت على مسامعها وأكملنا حديثنا فى حالة رومانسية صادقة تقشعر لها الأبدان ويحنو إليها الوجدان.

عدت إلى غرفتى المتواضعة وقد طمأنت بسمة على أحوالى المادية وطمأنت نفسى هذه المرة حتى لا أقع ضحية إمكانياتى القليلة حينها جاء عمى كالمعتاد لكى يزورنى

- باسم عامل إيه؟

- الحمد لله .. إتفضل يا عمى.

- شكرًا يا حبيبى .. أنا كنت عايز أقولك على حاجة.

- إتفضل.

- معلش يا باسم .. أنا كنت بحاول إنى أفيدك بأنى أوفرلك جوازة مرتاحه .. عشان ترتاح فى حياتك اللى جاية وعمرى ما إديت قلبك أو إحساسك فرصة عشان تحكم بيهم على الناس.

- ولا يهمك يا عمى .. أنا ما أقدرش أزعل منك أبدًا مهما يكون.

- وناوى تعمل إيه دلوقتى؟

- أنا الحمد لله .. فتحت ورشة لتعليم الرسم .. والأمور ماشية تمام وحبيت واحدة منه والأمور اتعدلت.

- بس أنا زعلان منك يا باسم .. بقى ما تقوليش على حاجة إلا لما أسألك؟!

- معلش يا عمى أصل كل حاجة جت بسرعة .. وما كنتش مرتبلها.

- على كل حال ألف مبروك وربنا يوفقك.

- الله يبارك فيك يا عمى.

- عشان أنا بحبك اتفقت مع واحد صاحبى إنك تصممله أغلفة كتب .. أنا عارف من أيام الشركة إنك بتعرف فى التصميم .. ده الإسم والعنوان إبقى عدى عليه بكرة وما تقلقش الشغل على الكمبيوتر بتاعك فى البيت .. سلام.

- سلام.

فاحتضننى حضنًا أبويًا خالصًا جعلنى أشعر بأننى لم أفتقد والدى طيلة الفترة الماضية وحينها شعرت بأنه أزال كل ما فعله معى فى الماضى بلمح البصر.

***

obeikan.com

(19)

ومنذ ذلك اليوم وأنا أعد إمكانياتى كاملة لكى تساعدنى على خوض المقابلة التى ستحددها بسمة لى مع أمها حينها لقد قمت بتأجير شقة بإحدى الأحياء المتوسطة وجمعت بين عملى الصباحى فى الورشة .. وفى البيت بتصميم أغلفة الكتب وخاصة المرسومة والتى تتسم بالفكرة المبتكرة واللوحات الشعورية التى يقرأها كل شخص بعينيه بشعور وإحساس مختلف.

وجاء اليوم الموعود،،

حينها بعثت إلى والدى وشرحت له الموقف ورحب بذلك وشعر إننى أصبحت رجلًا يعتمد عليه وقرر المجىء معى بعدما أخذت بسمة موعدًا من والدتها وذهبنا فى الموعد .

وبعد المقابلة شعر أبى بأننى قمت بالاختيار الصحيح .. من جهة الفتاة التى سأرتبط بها ومن جهة العائلة المحترمة وهذا ما نطلبه .. وبعد الخوض فى تفاصيل الزواج قرأنا الفاتحة وألبستها خاتم الخطوبة والتى أشعر بأن لا داعى لذكرها الآن. عدت مع والدى إلى البيت حيث قبع والدى معى فى الغرفة بعد ما أصر عمى على استضافته فى شقته لكن والدى حَسَّاس لأبعد الحدود لذلك قرر أن يبقى معى فى غرفتى المتواضعة حتى يسافر فى الغد إلى الإسكندرية.

وفى اليوم التالى هاتفت بسمة بعدما سافر والدى وعلمت أن والدتها وخالها قد تمسَّكا بى،، وافقت والدتها لأنها وجدت ابنتها تحبنى مع تحفظها المسبق على

إمكانياتى المتواضعة .. لكن إصرار ابنتها جعلها تلبى رغبتها فى الزواج بى لأنها كانت تريد سعادتها فقط لا غير.

مرت الأيام,,,

وبعد عام من العمل والعناء كنت قد أعددت كل شىء من أجل الزواج الشقة والعمل والعمل الثانى وبعضًا من المال الذى سيساعدنا كثيرًا فى بداية حياتنا .. حينها تذكرت وقتما رُفِضتُ نظرًا لظروفى المادية لكن فى تلك اللحظة أدركت أن المادة تُعَدُّ من أساسياتِ الحياة ولا مجال للاستغناء عنها .. لكن ما رفضت من أجله فى الماضى كان بسبب الوقت الذى لا أمتلك فيه المادة .. لكن من يريد الزواج لا يجب عليه الانتظار حتى تتحسن أحواله ولا حتى التفكير فى الزواج وهو لا يملك مقوماته هذه وجهة نظرجميع العائلات فى ذلك الوقت من لا يملك لا يتزوج فهاتفت بسمة حينها:

- كنت عايزه أتكلم معاك فى الموضوع ده يا باسم.

- قولى يا قلبى.

- كنت عايزة أعرف .. هو إنت لازم تعمل فرح؟

- طبعًا يا حبيبتى .. ده أنا هعمله عشانك.

- عشانى أنا؟!

- أكيد لأنى عايز أفرحك وأسعدك.

- أنا سعادتى وأنا جنبك يا باسم.

- بتسألى ليه؟!

- أصل أنا وماما شايفين إن مصاريفه هتكون مالهاش لازمة .. وبعدين ممكن نستفاد بفلوسه فى شىء أهم.

- والله يا بسمة أنا ما يفرقش معايا .. بس كنت عايز أعمله عشان تفرحى لأننا مش هنعيش اللحظة دى مرتين.

- لو معترض يا باسم قول.

- لأ .. لا معترض ولا حاجة .. طيب إنتى متأكدة من ده إنكم مش عايزين نعمله.

- طبعًا.

- طيب هكلم أهلى بقى عشان نلغيه.

- أوك.

- خلاص أنا هكلمهم ونكتب الكتاب ونروح نقضى شهر العسل فى إسكندرية مع أهلى هناك ولا إنتى عندك مانع؟

- أبدًا .. أهلك هما أهلى .. وأنا عارف إنى أكيد هكون مبسوطة معاهم.

- هسيبك دلوقتى.

- أوك .. هتوحشنى يا حبيبى.

- وإنتى كمان يا حبيبتى.

- سلام.

- سلام.

حينها أغلقت معها الهاتف ثم هاتفت والدى لأخبره بذلك بعدما أخبرت عمى فوبخنى لعدم إقامة فرح لى خاصة وأن أمى وأختى كانت تطلبان إقامته لفرحتهم بى لأننى لأمى الابن البكرى كما يقولون ولأختى كانت تتأهل أن ترتدى فستانًا فائق الجمال فى تلك الليلة .. وبعد عناء فى الإقناع سعد كثيرًا وأقنع والدتى وأختى وأعلمته بميعاد عقد القران حتى يحضر.

خلال تلك الأيام كنت أعد كل شىء فى الشقة حتى انتهيت منها قبل الموعد حينها أضفى ذلك الحدث على دنياى مظهرًا جماليًا رائعًا فكل ما حولى كان سعيدًا مسرورًا .. يبعث البهجة فى نفسى ويمنحنى السعادة التى افتقدتها فى يومٍ من الأيام .. كنت

أعد بذلتى ومتعلقاتى الخاصة وبجانب ذلك حقيبة خاصة تكفى لشخص واحد .. أشعر بالارتباك قليلًا فى تلك الفترة نتيجة ما أنا مقدم عليه.

بالطبع لم أكن أتوقع أننى سأرتبك كذلك .. لأننى لم أتزوج من قبل .. لذلك لم أكن فى حالتى الطبيعية .. لكن السعادة كانت على شفا قلبى الذى ينبض بحبها.

مرت الأيام دون جديد يذكر بها,,

وفى إحدى الأيام دلف عمى إلى غرفتى فدعوته للجلوس بعدها قال لى:

- بص يا باسم إنت لازم تشتغل شغل تانى مع الورشة مش هينفع تشتغل بس فى التصميمات وخصوصًا إنك محتاج فلوس عشان مستقبلك.

- بس أنا شايف إنى كده كويس ومش محتاج حاجة تانية.

- بس الجواز محتاج مصاريف كتيره يا باسم وخصوصًا إنك داخل على جواز.

- والله عندك حق.

- خلاص يبقى ترجع الشغل معايا.

- لأ طبعًا .. إنت عارف أنا سيبت الشغل ليه.

- عارف يا ابنى بس استحمل معلش عشان خاطر الجواز.

- مش عارف بس مش قادر أرجع تانى.

- على العموم فكر وقولى رأيك.

- ماشى .. هفكر.

حينها غادر عمى وجلست أفكر فى الأمر وكلما طردته من عقلى عاد يُلِحُّ على عقلى فقررت الاتصال ببسمة لكى تحاول مساعدتى فى اتخاذ قرار فى ذلك الأمر .. فهاتفتها وتحدثنا كثيرًا حينها ظللت أرفض الأمر جملة وتفصيلًا لكن وبعد اقتناع بسمة بذلك شجعتنى على خوض العمل مرة أخرى خاصة وأنها سوف تدير الورشة هى وحنان بعدما تعود من سفرها.

بالطبع لم أخبرها بنية مديرة الشركة فى الزواج بى .. لكننى أخبرتها بالعمل فقط

حتى لا يصيبنى أذى خاصة وأنا مقبل على الزواج وبالفعل أخبرت عمى بموافقتى على العودة إلى العمل ففرح عمى لذلك وتسلمت العمل بالفعل.

مرت الأيام وموعد زواجى يقترب رويدًا رويدًا حتى تقافز قلبى من مكانه مرات عديدة من شدة التوتر المصاحب لذلك .. غير مصدق أننى مقبل على الزواج من الفتاة التى اختارها قلبى وتهللت عند رؤيتها عيناى سعادة..

إنه الحب ولا شىء غيره.

وفى إحدى الأيام،،

استدعتنى المديرة فى مكتبها فذهبت إليها مهرولًا فهى لم تستدعِنى منذ أن عدت إلى العمل وحينما وصلت سمحت لى بالدخول:

- تعالى يا باسم.

- أؤمرى.

- قَرَّب منى.

- كده كويس حضرتك.

فتصاعدت نبرات صوتها فى حدة قائلة:

- وأنا هحب فيك .. قرب عشان تمضى الشغل ده.

فنظرت إلى الأوراق الملقاة أمامها على المكتب فى تعجب وقلت:

- شغل إيه ده.

- دى أوراق الأجهزة اللى لسه جاية جديدة .. وبما إنك المسؤول عن استلام العهدة عايزاك تستلم العهدة دى عشان نوردها للقسم.

- طيب حضرتك ما بعتتيش الورق ليه لمكتبى عشان أمضيه.

فصاحت بصوتٍ عالٍ مرة أخرى:

- وهو تحقيق ما تمضى وخلاص.

فاقتربت منها فى تحفز حتى لا أصطدم بها لأنها تتشبث بالأوراق ولا تريد أن تتركها

لى كى أوقعها بعيدًا عنها .. حينها أخذت تنظر إلىّ كثيرًا وتحاول أن تلامس يدى وهى تحاول التقاط الأوراق.

لكننى لم أظفر بها أمام تلك السهام النارية التى تخرج من عينيها والدفء الذى يحتوينى عندما ألمس يدها التى يكمن بها دفء العشق وفى تلك اللحظة كل ما ظفرت به هو ذلك التوقيع اليتيم على كل الأوراق التى أمامها ولكن بعد صعوبة بالغة ومعاناة.

وفى تلك الأثناء أخبرتها بموعد عقد قرانى الذى بات قريبًا حتى لا تلقى على عاتقى الكثير من الأمور وحتى توقف ألاعيبها نحوى التى لن تجدى بعد الزواج.

حينها خرجت من مكتبها فى قمة حنقى لكننى كنت منتشيًا قليلًا من ما حدث.

وفى إحدى الأيام،،

دلفت إلى غرفة مكتبى فوجدت علبة تعلو أحد الكروت المزينة فتوقعت أنها هدية من تلك الحسناء التى تطاردنى ولكن لن أستسلم لها أبدًا.

حينها لم أتطرق لفتح تلك العلبة ونحيتها جانبًا وبدأت فى عملى وأثناء عملى ساورنى الشك من أجلها فوجدت رغبة مُلِحَّة فى فتحها فالتقطتها وفتحتها فإذا بشىء لم أتوقع بأن يحدث حتى ولو كان خيالًا .. حينها تلاعبت الظنون بى..

كيف حدث ذلك؟!!!!!

ولماذا؟!!!!!

فاتسعت عيناى عن آخرهما وجحظتا من محجريهما فوجدت حينها صورة من إحدى شيكات البنوك مُزيّل عليها توقيعى البائس وذلك بقيمة كبيرة لا أقدر على منحها إلى شخصٍ ما فَحَرَّكتُ عينى إلى اسم المستفيد فوجدت اسمها تلك الأفعى التى كانت تحوم حولى منذ أيام ففتحت الورقة فوجدت ذلك الخطاب وبدأت أقرأ:عزيزى وحبيبى باسم،،

من غير تحية،،

أنا عارفة إنك محروق دمك دلوقتى من اللى إنت شايفه لكن ما باليد حيلة عايزاك تعرف إنى تعبت معاك أوى لحد ما وصلت للى أنا عملته دلوقتى ده بشوية مشاعروألاعيب وشوية أنوثة أنا اللى كسبت فى الآخر

أنا حطيتلك الشيك وسط الورق اللى مضيت عليه عشان غرض فى نفسى وحرقتلى دمى لما قولتلى إنك هتتجوز وعشان كده بعتلك صورته

بص يا سيدى إحنا نعمل ديل،،

يا إما إنك تتجوزنى وأديك الشيك،،

يا إما تدفعه وتريح دماغك.

أما الحل الثالث إنت عارفه الشيك هيروح فين .. إنت شاطر هتجاوب بسرعة مع إنى عارفه إنك مش معاك فلوس وهتختار الأول بس قولت أعمل اللى عليا معاك. إعمل حسابك مش هستنى كتير حاول تنهى الموقف بسرعة.

باى يا بيسووووو

كنت حينها أستشيط غضبًا مِمَّا قرأت .. لهذه الدرجة هناك أناس أكثر منالثعلب فى مكره وأشد من الثعبان فى سمه .. فأمسكت برأسى محاولًا استيعاب ما حدث ولكن دون جدوى.

عدت فى ذلك اليوم أفكر فى الأمر ولم أجد له أى مخرج وهناك معى ثلاثة اختيارات فماذا عساى أن أفعل؟!

عندها صعدت إلى عمى فى بيته ودخلت عليه غرفة مكتبه وألقيت أمامه العلبة المشؤومة والخطاب وانتظرت أن يفحصهم .. وبعد أن فحصهم بعناية قصصت عليه ما حدث بالتفصيل فنظر إلىّ نظرة خوف لم أدرك معناها على الإطلاق لكننى سأدرك مغزاها حتمًا عما قريب.

حينها وعدنى عمى بمحاولة حل الأمر.. بالطبع لم أدرِ ماذا سيفعل لكننى وثقت بذلك بعد وعده لى خاصة وهو من أعادنى للعمل رغمًا عنى بعدما زين لى طريق

العودة وأخفى عنى أشواكه وأظهر حلاوته ويسره .. فعدت إلى غرفتى فى وجوم وكأن الدنيا اتشحت بالسواد أمام عينى حتى طمستهما عن آخرهما فلم أر أى شىء يذكر .. حينها

وجدت أن النوم هو السبيل الوحيد الذى يقينى تلك اللوحة الداكنة الحالكة السواد .. لعلى أجد فى أحلامى لوحة أفضل قليلًا من ما أرى فى هذه الدنيا.

***

obeikan.com

(20)

فى صباح اليوم التالى،،

قمت من نومى فى تكاسل فوجدت عمى بالباب مرتديًا ملابس أنيقة وينتظرنى للذهاب معه لأمرٍ هام فأجلسته قليلًا وارتديت ملابسى وهندمت نفسى قليلًا وغادرنا سويًا إلى مكان لا أعرف هويته.

إنها فيلا كبيرة واسعة جميلة المظهر وأنيقة .. تحمل بين أركانها تحفًا فنية وأوراقًا خضراء شاسعة تملؤها فى بهاء وأشجارًا كثيفة وقليل من المياه تقبع فى أحد الأحواض تزين المدخل الخاص بها عندها دلفنا داخل الفيلا بعدما أدخلتنا خادمة وأجلستنا فى حركة خفيفة تنم عن أن أصحاب تلك الفيلا يعيشون فى ترف ورفاهية شديدة وثراء فاحش كما يقولون.

وبعد دقائق استمعنا سويًا إلى دقات تقترب رويدًا رويدًا منّا حتى أن عمى قام من مجلسه مشيرًا لى بالقيام مع شدة اقتراب دقاتها .. فتحرك عمى جاذبًا إياى معه إلى بداية سلم الفيلا الداخلى المتصل بغرفها ووقف أمامه حينها كنت أنظر إلى الموقف بعين لامعة متعجبًا لا أدرى ماذا أقول أو أبدأ حينما رأيتها لكن أشار إلىَّ عمى بالصمت قبل أن أتفوه بكلمة وأنا فاتحًا فمى فى بلاهة فتقدم عمى خطوتين إلى الأمام وتوقفت هى الأخرى عن النزول من الدرج فى خفة وضَمَّ عمى يديه أمامه قبل أن يقول:

- أنا ما شوفتش صفاقة أكتر من كده .. إيه اللى عملتيه مع باسم ده.

فضحكت ضحكة هيستيرية عالية رَجَّت بها أرجاء الفيلا فى عنفوان قبل أن تقول:

- إنت اللى بتتكلم عن الصفاقة يا مصطفى؟!!!

فقال بجرأة وهو يتحدث معها دون أن يهتز فى نبرة تعجبت منها كثيرًا:

- بقولك إيه أى حاجة مهما كانت ما تستاهلش إنكِ تدخلى فيها ابن أخويا.

حدث كل ذلك وأنا أشاهد كأى مشاهد فى المسرح .. لا يقدر على تغيير دوره فيها على الإطلاق ولم يكتب له إلا المشاهدة والاستماع فقط.

حينها قالت:

- أنا هقولك كل حاجة يا باسم عشان ما تعرفش من عمك عشان بيخاف على شعوره وعشان كمان ما أحبش أشوفك محتار وجاهل ما تعرفش الحقيقة وده بس عشان حبيتك.

فقاطعها عمى قائلًا بصوتٍ عالٍ أجش:

- سهام.

فاستطردت ولم تنتبه لمحاولات عمى لإيقافها والتى تكررت دون جدوى:

- طبعًا إنت نفسك تعرف كل حاجة فهنبدأ من الأول .. بس ممكن تستريح عشان الحكاية طويلة بس إوعدنى إنك ما تقاطعنيش أو عمك يوقفنى عن الكلام.

فجلسنا سويًا مستسلمين للأمر بعدما وجدنى عمى فى احتياج تام للسماع وأننى لن أتنازل عن ذلك أمام أى محاولة منه بأن يثنينى عن ذلك فبدأت تسير فى أشكال دائرية أمامنا وهى تتحدث فقالت:

- طبعًا إنت عارف إنى مديرتك ومديرة عمك فى الشركة لكن اللى ما تعرفهوش إن أنا مراته .. أه .. مراته هى دى الحقيقة اللى لغاية دلوقتى محدش يعرفها أنا طبعًا شايفه الذهول فى عينيك لكن لازم تشوف عمك على حقيقته وتعرف اللى كان نفسى أعرّفه لكل الناس..

بص يا سيدى واسمع إنت كمان يا مصطفى عشان فيه حاجات هتسمعها لأول مرة .. وارجع معايا بالذاكرة يا مصطفى عشان تفتكروتحاول تدوق من نفس الكاس اللى دوقتهولى .. أنا كنت متجوزة عمك من حوالى عشر سنين جواز شرعى طبعًا وسابنى عشان خلافات كتيركانت ما بيننا وأكترها كمان كانت عشان الفلوس .. إزاى يبقى متجوز واحدة مش معاها فلوس .. ورغم إنه كَوِّن من ورايا فلوس كتيرواشتغل معايا فى مشاريع كتيربس ده ماملاش عينه طبعًا وكان طمعان يكسب أكتروكل مدى ما بيقل حبى ليه بسبب طمعه.

فنَكَّس عمى رأسه ونظرت إليه حينها فاستطردت:

- طبعًا هو مش قادر يسمع الكلام ده عشان كنت بحبه جدًا بس هو كان بيدوَّر على الفلوس وبس ما كانش بيهتم أبدًا بيا واحنا فى الغربة .. سافرنا طبعًا عشان مشروعاتنا مع بعض وبعد ما اختلفنا على الفلوس فى يوم انفصلنا عن بعض وما كملناش وسابنى وسافر على مصر عشان يدور زى عادته على الفلوس باختصاركان انتهازى لأبعد الحدود وبعدها طبعًا قررت أكون غنية جدًا

وبعد ما فاتت سنين رجعت مصر وطبعًا ورثت الشركة من والدى لكن كبرتها وطبعًا أغريت عمك بالفلوس عشان يشتغل عندى وده لسبب واحد بس هو إنى أذله زى ما ذلنى وقهرنى بحبى ليه.

فتساقطت عبرات من عينيها حارقة يتخللها صوتها المبحوح الذى يمتزج بحرقة الماضى وسكون الحاضروأكملت:

- ساعتها كان فاكر إنى نسيت كل اللى حصل لكن كانت جوايا نار بتكوينى كل ما أشوفه أو أفتكريوم من الأيام اللى فاتت عليا ساعتها ما حسيتش غير بالإنتقام وكان لازم أنتقم لحد ما حبيتك بس حبى ليك كان مختلف لأنك حتة منه كان نفسى فى حد يحبنى بس للأسف اللى حبنى حبنى بس عشان فلوسى مش عشان حاجة تانية فيا .. فعملت الجواز حجتى عشان أحاول أقرب من عمك أكترلكن ما عرفتش وصديتنى.. لكن بعد ما زهقت من رفضك حبيت أجيب

مصطفى بطريقة الشيك فكرة جاتلى بعد تفكيركبيربس ما توقعتش إنها تجيبه بالسهولة دى.

فقام عمى من مجلسه وقال:

- وإيه بقى اللى ما أعرفهوش يا هانم.

- اللى ما تعرفوش إنى كنت حامل وللأسف راح مع كل حاجة حلوة راحت ساعتها.

فنزلت على عمى كالصاعقة تلك الكلمات وهو فى ذهول تام من ما يسمع غير مصدق ما يقال فحاول تمالك نفسه لكن غلبته دموعه وتساقطت من ما سمع فاستطردت مرة أخرى:

- شوف أن هكون كريمة معاك .. وهحاول أعاملك بطريقتك عشان تحس بوجعها لما تيجى تعامل الناس بيها ويا ريتك بتحس .. أنا هديلك الشيك بس بشرط تدفعهولى وأظن إن الشيك ده حقى وإنه تعويض قليل جدًا قدام ابننا اللى ما جاش.

فاهتز عمى مرة أخرى قبل أن يحاول إخراجى معه ولكننى غادرت بالفعل تاركًا إياه فى سكون دون أن يشعر بى.

عدت إلى غرفتى غير مدرك لما حدث هل هو حقيقة أم خيال؟!

وما ذنبى فى هذه اللعبة التى لُعبت بى؟!

وكأنى أشاهد فيلمًا غريبًا .. يحملنى خارج أسوار الواقع .. وبعد فترة سمعت طرقات الباب فخمنت أن عمى هو من بالباب فقررت عدم التحدث .. فاستمعت حينها لصوت أقدامه وهو يصعد الدرج مبتعدًا عن غرفتى ومددت جسدى على الفراش .. فنال منى النوم بسهولة ويسر من فرط الإنهاك الذى ألمَّ بى حينها.

وفى الصباح،،

فتحت باب غرفتى كى أدخل الخلاء فوجدت عمى أمامى واقفًا فذهبت إلى الأريكة داخل الغرفة وجلست وتبعنى عمى وجلس ثم قال:

- بص يا باسم .. أنا مش هدافع عن نفسى مع كل اللى حصل ده بس عايزك

تعرف إنى ماليش يد فى حكاية الشيك دى .. هى حاولت تضربنى بيك عشان مقهورة ومتضايقة .. وعشان إنت تهمنى وبحبك ومش عشان عمك وبس أنا دفعت الشيك .. وهو يعتبر حقها طبعًا بس ما عرفتش تاخده منى لما كنت متجوزها فعشان تضمن حقها دخلتك فى الموضوع.

فترك لى عمى الشيك على المنضدة وقام من مقعده وسار خطوتين تجاه الباب وقال:

- وعشان أثبتلك حبى ليك تعالى معايا بكره عندنا مشوار مهم.

حينها غادر عمى دون أن أنبس ببنت شفة حينها تعجبت من ذلك لكننى أعلم علم اليقين مدى شغف عمى بالمال وحبه له ومر اليوم بسلام مثله مثل باقى الأيام.

وفى الصباح،،

أخذنى عمى معه إلى مكان متسع وقبل أن ندلف إليه أمرنى بإغماض عينى فأغمضتها وإذا بعمى يأخذ بيدى ويزج بى خطوتين إلى الأمام وأمرنى بفتحها فإذا بى أمام مكان واسع حوائطه أنيقة .. فضاء .. يصلح للمعرض.

ذلك ما نطق به عقلى من فرط المفاجأة .. حينها لم أتمالك نفسى إلا وأنا فى أحضان عمى بعدما تناسيت ما حدث حينما تحقق حلمى .. عندها سقطت دموعى رغمًا عنى من حلاوة المفاجأة .. بعدها أخبرت عمى بتركى العمل بالشركة فوافقنى على ذلك وبالطبع كانت تلك هى المرة الأولى التى يوافقنى الرأى فى قرار أخذته ووعدته بتقديم الاستقالة له لتقديمها إلى زوجته الماضية.

عدت بعد ذلك إلى غرفتى منتشيًا بعدما علمت أن عمى هو من قام بتأجيره على نفقته الخاصة وقام بتجهيزه خصيصًا من أجل إقامة المعرض فى محاولة منه لإرضائى نظرًا لحبه لى .. فقررت حينها أن أهاتف بسمة لإعلامها بذلك:

- ألو .. بسمة.

- أيوا يا باسم.

- بحبك.

- وهو إنت متصل بس عشان تقولى بحبك؟!

- طبعًا وأنا عندى أغلى منك .. هنحقق حلمنا يا بسمة.

- حلم إيه؟!

- المعرض يا بسمة.

- إزاى.

- هقولك .. عمى عملى مفاجأة وأجرلى مكان وجهزه عشان نعمل معرضنا اللى حلمنا بيه.

- الحمد لله أنا فرحانه جدًا .. أخيرًا هنحققه.

- أخيرًا يا بسمة .. أخيرًا.

- وفيه خبر حلو كمان.

- بس مفيش أحلى من ده .. قولى يا ستى.

- حنان رجعت السفر من فترة .. هى كانت مسافرة وبدأت كورسات معايا .

حينها انتابتنى قشعريرة سرت فى جسدى عند سماع اسمها لم تلحظها بسمة فتمالكت نفسى وقلت:

- الحمد لله .. كده مش ناقصنا حاجة غير المعرض.

- لأ فى.

- إيه.

- إنت يا باسم .. عايزينك ترجع الورشة.

- تحت أمرك يا أميرتى.

فتبسمت فى الهاتف من مداعبتى إياها وشعرت بها قبل أن تقول:

- هستناك .. سلام.

- سلام.

وفى اليوم التالى،،

ذهبت لتقديم ستقالتى فى الشركة وذهب عمى لتقديمها فرفضت المديرة توقيعها بدون أن أقدمها بنفسى فأمرنى عمى بتقديمها لها فدلفت عليها مكتبها لتقديمها

فقالت:

- هتسيبنا ليه يا باسم؟!

- مفيش أنا بس عايز أتفرغ لمشروعى ولمعرضى اللى جاى عشان عندى شغل كتير.

- تقوم تسيبنا يعنى ومش عايز تكمل معانا؟!

- معلش دى رغبتى وهكون مرتاح كده.

- على العموم مش هقف قدام رغبتك زى ما تحب.

فوقعت على الاستقالة وصافحتها بترحاب وقمت بدعوتها إلى المعرض ثم غادرت إلى الورشة

وفى الورشة،،

وما أن وقعت عيناى على بسمة حتى احتضنتها بشدة وضممتها إلىّ فلم أرها منذ فترة حتىاإنفطر قلبى .. حينها انفطر قلب حنان فى مشهد لم تتوقعه .. فهى لم تتوقع أن حبيبها يؤول لامرأة أخرى ويحتضنها بدلًا منها فخروج الحب من الجسد أشد إيلامًا من فراقها له والبقاء بجانبه.

وبعد الترحاب،، عدت إلى مكتبى فدلفت حنان إلىّ فقمت لها وصافحتها ثم قلت :

- أخبارك إيه يا حنان؟

فقالت بحزن مرير:

- مفيش .. زى ما أنا وحيدة.

- ليه .. وهو إنتى مش متجوزة؟!

- كنت.

- ليه؟!

- أمى جوزتنى لرجل أعمال .. طبعًا كانت عايزه تعجل بالجواز فيادوبك فترة صغيرة ما كملتش شهور وبعدها كنا متجوزين .. قعدنا فترة فى تفاهم ومرتاحين لحد ما بدأت الخلافات تدور حوالينا لغاية ما اتمكنت مننا وبعدها استحالت العيشة معاه وطلبت منه الإنفصال بهدوء وتم وكمان حط فلوسه كلها فى صفقة وحصلت مشاكل فيها ففلس لدرجة إنه حتى ما عندوش موهبة زينا ممكن تساعده من جديد أو حرفة أساسية تحاول تخليه يقف على رجليه من تانى .. بس عشان كده ما كملناش.

وقتها دمعت حنان دمعًا ساخنًا انزلق من عينيها انزلاقًا .. وهى تنظر إلىَّ فى رغبة ملحة ومريرة أفهمها .. لكننى الآن لا أصلح لدورها التى تحاول أن ترسمه لى .. أعلم أنها تحبنى ولا أنكر أيضًا حبها الذى مازال فى قلبى لكنه ارتكن على أرفف أرشيف قلبى ليحل محله حب جديد صادق مبنى على التفاهم والمودة والحب.

فأمسكتها ووقفنا سويًا وقبلت يدها فى حنان فجعلتنى أعود إلى سنين مضت وعينيها مازالت نادمة على موافقتها بزوجها السابق وتدمع دمعًا لم يتوقف إلا عندما احتضنتها بين يدى وقد شعرت وقتها أنها وجدت فيه نوعًا من الأمان ووجدت أنا نوعًا من الطمأنينة والحب الذى تمنيته .. فذابت حنان بين أوصالى وأسندت رأسها على صدرى عندها شعرت بالخجل من ذلك لكننى ربما احتجت كما احتاجت حنان صدرًا حانيًا لا يقسو عليها كنت فى حاجة ماسة أيضًا إلى ذلك الحضن لكى يفيقنى من تبعات الحب الأول فأخذت يدها بحنان بالغ وقبلتها مرة أخرى وأخرجتها من حضنى وسحبت ذراعى من حولها ثم قلت:

- حنان أنا كنت بحبك..وهفضل أحبك طول عمرى وما أقدرش أنساكى ولا هنسى

الأيام الجميلة اللى قضيناها مع بعض .. لكن ده قسمة ونصيب .. أنا دلوقتى مرتبط ببسمة .. أنا عارف إن الكلام ده صعب عليكى وبيوجعك وبيقطعنى كمان من جوه .. لكن هى دى الحقيقة ولازم نواجهها مع بعض عشان نقدرنكمل حياتنا عادى.

- بس أنا مش عايزه أسيبك.

- مين قال إن إنتى هتسيبينى؟!

- إزاى؟!

- إنتى هتدرسى الرسم معانا زى ما اتفقنا.

- أنا أقصد إن أنا بحبك وعايزه أبقى معاك على طول.

- ما ينفعش يا حنان .. ده بالنسبة لى يعتبر خيانة .. الراجل ما ينفعش يعيش بقلبين أو قلب مقسوم نصين .. لكن ينفع يعيش بقلب فيه ماضى ومستقبل .. وانتى اخترتى تكونى ماضى .. وبسمة قررت تكون المستقبل.

فنظرت إلىّ نظرات نارية ترجمتها كذلك:

* حبيبى باسم .. إن كان الفراق هو مصيرنا .. فعندما ألاقيك سأضمك بين أحضانى حتى لو تزوجت كل نساء العالم .. لأننى أحبك.

* حبيبتى حنان .. لن أنساكِ إلى الأبد .. تعلمت الحب بين يديكِ .. فلن أبخل عليك بحبى لكننى لن أصير خائنًا مهما بلغ الحب منتهاه.

حينها افترقنا كأحباء .. لكننا سنتقابل سويًا بعد ذلك كأصدقاء فى العمل.

* * *

(21)

بعدها خرجنا سويًا إلى بسمة وتواعدنا أمام بعضنا البعض بتحقيق الحلم ومن ثم بدأنا فى العمل والاستعداد للمعرض بكل قوة .. والأجمل من ذلك تعاوننا المثمر فى اللوحات الفنية الرائعة خاصة التى نتشارك بعملها سويًا وبدأنا فى تشجيع الفنانين المبتدئين بتخصيص ركن خاص بالمعرض لأفضل لوحات تنتجها الورشة فذلك الحلم يجب أن يحقق وسوف يحقق بأفضل إمكانياتنا.

ظل العمل مستمرًا لفترة كبيرة لكى ننشئ معرضًا تتحدث عنه الأوساط الفنيةوقمنا بتأجيل الزواج لحين الانتهاء من المعرض وبالفعل تم تأجيله وتم إكمال الإعدادات الخاصة بالمعرض إلى أن اكتمل كل شىء وجاء اليوم الموعود:

حينها عَجَّت الصالة بالزوار الكثر الذين يتذوقون حلاوة الفن وألوانه وتحدثت السعادة من وجوه المدعوين وأوجه حنان وبسمة أيضًا بينما ظللت أتابع أوجه الناس فى سعادة وانتشاء وكأنه يوم عيد بالنسبة لى وكانت حينها المفاجأة عندما حضر عمى ومعه أجمل مفاجأة قام بها لقد أحضر أبى وأمى وأختى إلى المعرض يا له من يوم .. إنه يوم الأحلام بالنسبة لى .. كل الأحبة يجتمعون يوم تحقيق حلمى.

وفى تلك الأثناء قمت بتقديم بسمة لعائلتى ففرحوا بها فرحًا شديدًا واحتضنتها أختى ثم أمى واحتضننى والدى وسط نظرات الانكسار المطلة من عين حنان التى خسرت كل شىء واتفقنا سويًا على عقد قرانى على بسمة بعد الانتهاء من المعرض وبعد الترحيب من أبى وأمى والحاضرين والإعجاب المتبادل بين عائلتى وبسمة قررت التجول فى المعرض

توقفت أمام إحدى اللوحات فهى اللوحة الأخيرة والتى رسمتها من أجل المعرض وهى باسم الحب..

ظللت أمامها كثيرًا قبل أن يقطعنى صوت أنثوى جذاب قائلًا:

- اللوحة دى للبيع؟

فقلت قبل أن أستدير نافيًا بيعها فوجدت سهام تقف خلفى وخلفها وقفتا حنان وبسمة فى تعجب فاتسعت عيناى مندهشًا قبل أن تقول سهام:

- وليه يا ترى؟!

حينها بدأت فى ترجمتها كذلك:

*اللوحة دى خلاصة سنين من الرسم والمشاعر المتناقضة اللى مريت بها بتعبر عن الحب بمعظم مشاكله وخطوطه وعشان كده حاولت أجمع فيها كل مشاعرى .. أنا مريت بتجارب فى حياتى مهمة لكن اللى حصلى فى الحب كان أصعب من أى شىء مريت بيه فى حياتى.

وبعد فترة,,,

انتهى وقت المعرض واستمتع الحاضرون جميعًا به وكنّا فى سعادة بالغة تنم عن النجاح الذى حققناه فى تلك اللحظة .. فأعددنا أنفسنا للرحيل بعد انتهاءه وغادر الجميع وبات والدى وعائلتى عند عمى فى تلك الليلة إلى أن ظهر الصباح,,

صباح ذلك اليوم المعهود حينما حلمت به كان مخصص لحنان لكنه الآنمخصص لبسمة التى رافقتنى طريقى حتى وصلت إلى حلمى الذى تمنيت تحقيقه.

أما الآن فنجنى الآن ثماره بعد النضج .. إنه يوم عقد القران حينها أعددنا كل شىء واستغلينا وجود عائلتى بكاملها فى القاهرة وتم عقده ومن ثم انطلقت المباركات من عائلتى وعائلة بسمة والحاضرين جميعًا.

ولا يزال هناك فرد واحد لم يهنئنا قط ولكنه فضل الابتعاد والمغادرة,, فرد تخيل أن له قدرًا من السعادة لكنه لم يحظى به,,

إنها حنان .. والتى ظلت تنظر إلىّ فى وهن وخوف بينما باتت بسمة منشغلة بمباركات من حولها .. فتساقطت عبرات ساخنة من عينى حنان فى عذاب لاح على وجهها .. لم يلحظه أحد غيرى .. حينها قررت تمالك نفسى وقلبى وعقلى حتى أحيا حياة الحب بعدما خذلنى العشق.

حينها انشغل الحاضرون بالتهانى لعائلتى وبسمة ولاحظت حنان تبتعد كثيرًا عن المكان وكأنه يحمل لها الحزن حملًا ويضغط على قلبها بثقل حديدى خانق مكبلًا إياه باستسلام تام تجرجر قدمها مقاومة إياها فى تعنت ومرارة تضر الحلوق.

فتسللت من المدعوين دون أن يشعر أحد حتى بسمة لم تلحظنى لانشغالها بصديقاتها الملتفين حولها .. فاقتربت منها وأمسكت يدها وأدرتها لتنظر لى .. فنظرت إلىّ فى إنكسار ودمعها يتساقط رغمًا عنها فجذبتها بعيدًا عن الأنظار ثم جففت دمعها بيدى وسألتها:

- إنتى لسه ما نسيتيش يا حنان.

فأوقفت بكاءها قليلًا قبل أن تجيب:

- مفيش حد بيحب يقدر ينسى.

- بس الواقع اللى إحنا فيه بيفرض علينا إننا ننسى.

- لو عايز تنسى .. إنسى إنت .. لكن أنا عمرى ما هقدر أنسى إنك اليوم ده كان لازم تبقى ليا ومعايا مش مع حد تانى.

فنظرت إليها متأثرًا:

- بس إنتى اللى ضيعتى الفرصة دى من إيدينا وجايه تلومينى دلوقتى.

- أبدًا .. أنا مش بلومك أو بعاتبك .. أنا بعاتب نفسى عشان رضيت بحاجة خارجة عن إرادة قلبى اللى حبك وعن عقلى اللى رافض ينساك.

- بصى يا حنان .. أنا دلوقتى من حق واحدة تانية لازم أبقى ليها هى وبس ما ينفعش حاجة تفكرك بيا .. حتى عشان لو جه يوم مش هنعرف نرجع لبعض تانى أبدًا.

- أنا مش عايزة نرجع لبعض بس على الأقل حبى فى قلبك ما ينفعش ينتهى بالسهولة والسرعة دى.

- ما ينفعش برضو يا حنان عشان قلبى مش حصالة أجمع فيه أكتر من حب القلب ليه حب واحد وبس ملكه لما بيدخل القلب لا يمكن يطلع منه حتى لو حاولنا نطلعه بالعافية.

فقالت وقد تساقطت دموعها مرة أخرى:

- حتى أبسط حاجة فى دنيتى ومعيشانى عايز تحرمنى منها.

- إنتى اللى حرمتى نفسك وحرمتينى من السعادة فما ينفعش ترجعى الماضى دلوقتى. وبينما كانت مستمرة فى البكاء استطردت قائلًا:

- حنان .. أنا هفضل جنبك ومش هسيبك وكده كده إنتى معايا فى الورشة وهتفضلى حبى الأول .. بس لازم تحطى قدام عنيكى إنى متجوز بسمة ومجرد التفكير فيكى يعتبر خيانة ليها بالنسبة ليا .. وأنا عمرى ما كنت خاين وبكره الخيانة أوى .. لكن إتطمنى هفضل معاكى طول عمرى.

حينها غادرت وتركتها تفيض بما تحويه عينها من دموع .. وفى طريق عودتى لبسمة وجدتها أمامى عند ردهة القاعة فسألتنى:

- إنت كنت فين؟!

- كنت بجيب الفوتوجرافر عشان يصورنا .. بالمناسبة ده صاحبى إياد.

فأشرت له بالتقدم لالتقاط بعض الصور التذكارية الخاصة بالزفاف حينها أعددنا أنفسنا وهندمنا ملابسنا وبدأ إياد فى التقاط الصور لنا.

وفى تلك الأثناء,, نظرت أمامى فوجدت حنان تنظر إلىّ فى حزن ووجوم شديدين وقد رسم على وجهها الشقاء,, أشحبه,, أكساه ظلمة حينما شاهدتنا نلتقط صور الزفاف .. فلاحظت بسمة ذلك دون أن تخبرنى بشىء حتى لا أتأثر بشىء .. وحتى لا أحن إلى الماضى من جديد.

بعدها تلاشت حنان من أمام أعيننا كما يتلاشى القمروسط السحاب.

وبعد اتقاط الصور,,

عدنا إلى المدعوين وصافحناهم وسلكنا طريقنا إلى سيارة الزفاف وأدخلت بسمة وهممت بالدخول لكن قبل دخولى للسيارة رأيت أمامى حنان وسهام يقفان بجانب بعضهما البعض وعيونهم تتسائل .. فنظرت إليهم مبتسمًا وأرسلت بعينى عدة رسائل أعتقد أنها قد وصلت بسلام وباتت فى مقاصدها,,,

الأولى: حنان

**

لقد أحببتك بالفعل .. لكن وإن شاء القدر تفريقنا .. فلعل وعسى أن يجمعك القدر ذاته بشخص آخر يحبك أكثر من ما أحببتك.

الثانية: بسمة

**

عانيتِ معى عند خوضى الطريق .. فصبرتِ وبات لكِ الحق فى الفوز بالنهاية بحبى لكِ .. فهنيئًا لكِ بى وبقلبى.

الثالثة: سهام

**

لا تجعلى المال وسيلة لشراء الحب .. فالحب لا يشترى .. وتأكدى أن هناك من يحبك وسوف ينتظرك إلى أن تحين اللحظة لكى تلتقيا.

فلاش باك,,

حينما سألونى عن اللوحة أجبتهم بأن الحب فى نظرى هو أن :

* تضحى عشان تسعد حبيبك وتكون متقبل ده من غير ما تكون أنانى وتفكر فى سعادتك إنت بس.

*تحول المستحيل لممكن عشان اللى بيحب عمره ما يقف عاجز قدام حبيبه.

*إياك تضحى بحبك لأى سبب كان .. الحب أغلى شىء فى الدنيا.

*الحب حياة .. لو الحب موجود يبقى فيه حياة ولو مش موجود اتعدمت الحياة كأنك مش عايش.

*كل واحد بيحب لازم يحافظ على اللى بيحبه ويخبيه فى عيونه ويقفل عليه.

*الإهتمام هو الوصلة اللى بتجمع بين إتنين .. اهتموا إنكم تهتموا.

*فى الحب إشترى وما تبيعش .. عشان لما حد هيبيعك .. هيبيعك رخيص أوى.

*حب الروح مش الشكل .. الشكل ممكن يتغير لكن الروح عمرها ما هتتغير.

*خليك صادق فى حبك وما تكدبش عشان الحب هو اللى هينجيك مش الكدب.

*الحلم إسعى ليه وحققه حتى لو ما كانش عندك إمكانياته..

رتب أفكارك وجهز حلمك,,

وتوكل على الله,,

وحقق حلمك.

وإن سألك أحدهم عن الحب:

قل هو إحساس والإحساس لا يعرف،،

هو كنز لا يغتنمه إلا الأقوياء،،

هو اتصال لا انفصال .. فإن وصلته وصلك .. وإن انقطعت عنه قطعك،،

هو مأوى لك عندما تضل طريقك فى الحياة،،

هو مملكة .. إن اكتملت أركانها .. نعمت بحياتك،،

الحـب حيـاة.

NO LIFE WITHOUT LOVE

NO LOVE WITHOUT LIFE

NO LOVE .. NO LIFE

تمت بحمد الله

* * *

obeikan.com

الشكر لله أولًا وأخيرًا
شكر خاص

أشكركل قارئ,,,

قطع من وقته القليل لكى يقرأ تلك الرواية, لكننى وعدتك بالإفادة دائمًا وأسأل الله أن أكون قد وفقت فى ذلك.

أشكركل كاتب,,

من أصدقائى من كتاب جيلى الشباب بلا استثناء .. فهم فعلًا خير أصدقاء.

أشكركل من يقرأ أعمالى,,,

حقيقة أكتب تلك الكلمات من أجلك أنت .. ليس طمعًا فى شىء إلا لإيضاح ما يحتويه الحب من معانى أسمى وأوسع من أن تجمع فى كتاب .. لكن الحقيقة أن الحب هو المحرك الأساسى للحياة .. فلولاه ما تحركنا .. ولا حيينا لقد زرعه الله فى قلوبنا كى نحيا به ويحيا فينا.

obeikan.com

obeikan.com

للتواصل مع الكاتب

Facebook : mr.hani.ramadan@facebook.com

OR: fb.me/Hani.Ramadan.official.page

Instagram : www.instagram.com/haniramadaan

Ask :ask.fm/diabamaro

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com